

تصدير

يختم هذا العدد في صفحاته الأخيرة الفهرس التحليلي للمجلد التاسع عشر من مجلة « قصص » . وبذلك تقبل هذه المجلة وتستعد لحوض مرحلة أخرى من عقودها بنفس الحماس والطموح اللذين بدأت بهما مجلدها الأول سنة (1967/66) . وهذا ما يجعلنا نؤمل مواصلة السير رغم أزمة ارتفاع أسعار الورق وارتفاع التكاليف التي تعترض حركة النشر في البلاد ؛ فقد ارتفعت التكاليف عدة أضعاف ما كانت عليه في النصف الثاني من الستينات المنصرمة حيث ابتدأت مجلة « قصص » خطواتها الأولى .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إننا لا نخجل من ترديد القول بأن الروح النضالية ، وفلسفة البذل والعطاء اللاتيتين اللتين تمثلهما عزيمة أسرة المجلة وأعضاء نادي القصة هما اللتان لهما الفضل في هذه الاستمرارية الحصبة التي كونت الأجيال القصصية ، وأخذت بيد المواهب الشابة في هذا المجال من الإبداع الأدبي والفكري . وإن مجلة « قصص » لفخورة بأن كانت صفحاتها - وما تزال - منابر حرة وجريئة للإبداع والتجريب ، وإن قائمة خريجي نادي القصة يطرد فيهما التنوع والتجديد سنة بعد سنة وحتى علما بعد عدد .

ولكن كل هذا لا ينسينا أو يحول بيننا وبين ما نصبو إليه من طموح إلى تحقيق المزيد ، وتدارك النقص ، والاستجابة لمتطلبات التطور والنمو في مجال حيوي وهام قطعنا فيه أشواطاً ، ولكن غايته لا تدرك تبعاً لسنة التطور التي

انبنى عليها هذا الكون منذ ان وجد ، ومنذ ان اصبح فيه « الانسان »
سيد الموقف .

وذلك يعني ان اشياء عديدة لم نحققها بعد ، وان جهودنا كبيرة علينا بذلها ،
وان نقلا ذاتيا اصيلا يفرض علينا ان نحقق انفسنا ونحاول ان نتدارك
النقص ، ونتجنب العثرات ، وان نؤمن بان الفرد لا يكون شيئا ما إذا انبت
او توقع ، كما انه بدون كل ذلك لا يمكن ان نصل إلى المأمول ونسدر
المنشود . وما نحسب ان ذلك مستحيل لأنه في دائرة الامكان . والممكن
الموجود وليد العزم والجهد والمثابرة .

« قصص »



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تهانى

عيب عليه الحاج مصطفى ، توفيت زوجة صديقه الحاج الناصر منذ زمن ولم يذهب لتعزيتته !! هذا ما كانت تفكر فيه زوجته الحاجة « بيته » وهى مقبلة من المطبخ وقد أعدت الشاي « شتاها كل يوم » بعد فطور الغداء ، ووضع الطبق النحاسى الاصفر وفوقه البراد الأزرق والكاسان الطرابلسى ، على الطاولة الصغيرة قبالتها فى غرفة الجلوس ...

وترجع الحاج مصطفى كمادته على البنك ورشنى فى ميسمه الصغير الاسود سيجارة وأفهمك فى إشغالها ...

وقالت له زوجته :
ARCHIVE

— هل تعلم ؟ مر عامان الآن على وفاة السيدة خديجة ولم تذهب لزيارة صديقك !!

أجابها الحاج بعدما جذب من سيجارته جذبة طويلة عميقة للتحقق من إشغالها :

— إيه والله عامان !! ... الايام تمر بسرعة ... عامان كاملان !! وتابعت الحاجة كلامها وهى تصب الشاي وتنتظر الى الكأس تمتلئ :

— اذا صدقتى ربي ، اظن أنه مر أكثر من عامين على وفاتها ، المسكينة !!
ورد الحاج :

— أقول كل مرة ساذهب فى الاسبوع المقبل ... ثم فكر الحاج مصطفى برهة وأردف : والله لا أدري كيف هو الآن الحاج الناصر ... ولا كيف أحواله ...

قدمت له الحاجة بيه كأس الشاي بعنما ملاتها وعلت كمشيلكجبها...
كادت تلمس حافة الكأس ، هكذا يريد الحاج كأس الشاي وهكذا يودها
ويشتهيها منذ ما يزيد على أربعين سنة ...

ثم تابعت حديثها قائلة شبه مؤنية :

- كان عليك أن تذهب منذ سمعنا الخبر بعد فصل الصيف .

فاجابها الحاج قائلا متذكرا :

- صحيح ، إنها توفيت في الصيف !!

- كنا في رادس عندما توفيت المرحومة ، وعدنا من « الحلاعة » مؤخرا...
بقينا حتى داهمتنا « غسالة النوادر » ... ودخل الماء الدار ... وامتلا
الماجل ...

- سمعنا الخبر عندما رجعنا ... ثم تابع ملتصبا لنفسه الإعيذار ، كان
الشتاء قاسيا شديدا في تلك السنة ... بقي برهة ساكنا في حوار مع
نفسه ، وضميره يؤنبه على تقاعذه ... ثم قال : سأذهب وأزوره في هذا
الاسبوع ، ان شاء الله .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

فأسرعت الحاجة ، واندفعت مشجعة :

- الأحسن أن تذهب هذا الاسبوع ما دامت الشمس دافئة في هذه
الايام . وما دام الطقس جميلا قبل أن تعود الامطار وتنزل من جديد ... إنك
تستطيع أن تذهب اليه دون مشكل ، رويدا رويدا تب خطوة خطوة ولا
تجهد نفسك ولا ترهقها حتى تصل الى الدار وتعزي الرجل ...

ترشف الحاج مصطفى كأس الشاي بهل وتلذذ بعدما ترك له الوقت
الكافي الذي أدرکها وحددها منذ أكثر من أربعين سنة ليصير الشاي
سائفا ممتعا دون زيادة أو نقصان للحرارة التي يلذ له الشاي بها
ويشذو ... دون تلك الحرارة المحرقة ، دون تلك البرودة التي يصل اليها
الكأس اذا أصبل ، فيفقد بها الشاي كل طعمه ... بقي صامتا برهة من
الزمن والشاي يسري خلالها في كامل جسمه وشذاه يصعد الى خلايا دماغه
سختا شديدا ، يغمره نشوة ومتمعة وارتياحا ... ثم عاد الى سيجارته يدخنها
باناة ... وقطب جبينه ومرت سحبات بيضاء أمام عينيه ، وفوق رأسه ثم

صعدت رويدا رويدا الى السقف وتلاشت ... وهو يفكر ... فداء الروماتيزم
 اتعبه منذ سنتين ... وابتدا في اول الامر بركبته اليمنى ... ثم انتقل شيئا
 فشيئا الى ركبته اليسرى ... ثم صعد واستولى على ذراعيه ... ثم ما هو
 الآن يستبد بظهره وكتفيه ... يحير هذا الداء وأرقه ... وأقضى مضجعه ..
 وتشتد عليه الآلام في الليل فيوقظ الحاجة « بيته » فتقوم اليه وتمسده ...
 وصار لا يستطيع التحمل بسهولة خاصة في فصل الشتاء عندما يشتد
 البرد ... وصلح الحاج مصطفى يتجنب الضيق على رجله والابتعاد عن الدار
 والحي ، وعن الاماكن التي اعتاد ان يذهب اليها ... اذا أجبر على الخروج
 لضياع بعض شؤونه . وقصد موق الحضر خارج اديانه او مركز البريد
 ليتقاضى منحة التقاعد ... فانه يتألم كثيرا ... ويستريح أثناء الطريق
 مرات ... ويؤجل أحيانا خروجه الى الغد أو بعد الغد ... وغالبا - بعد
 تناول كأس الشاي وبعد تجاذب أطراف الحديث مع الحاجة وبعد تسخين
 سيجارته وتنظيف ميسمه وارجاعه الى مكانه - ينهض الحاج من فوق البنك
 بصعوبة وتناقل ويتجه الى غرفته لينام ... أما اذا مد يده وفتح « قجر »
 الخزنة الملاصقة للبنك وتناول صندوق نظاراته وأخرجها ومسح كل فص
 من فصوصها بعناية ومهل ثم وضعها على عيفيه وتربع واعتدل في جسلته -
 وقال لزوجته :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« هاتي لي المصحف والمحمل يا « بيته » فالحاجة تسر وتبهج وتقوم
 وترفع طبق الشاي من فوق الطاولة بعجل وتسرع وتذهب الى المطبخ ثم
 تدخل الى غرفة النوم وتأتي بالحتمة والمحمل وتدني الطاولة أكثر من الحاج
 وتفتح المحمل بعناية وتضع فوقه المصحف الشريف بحذر ما بعده حذر .

ينحنج الحاج وهو يفتح المصحف ... ويقضي كامل العشية فوق البنك
 لا يفارقه ، يرتل القرآن ترتيلا متواصلا بصوته الصافي الهادي حتى يتصيب
 العرق من جبينه حبات وحتى تقوم الحاجة وهي تصلي على النبي مزدهية
 فرحة وتتجه الى المطبخ وترفع كانون الشاي بعدما أحمل وتخرج به الى
 الحديقة وشفتاها تتحركان مرددة الصلاة على النبي ... وتخضه وترجه بين
 يديها مرات ثم تغمض عينيها وتنفخ في رماده فتظهر جمراته حمراء متألقة
 وتعود بالكانون الى غرفة الجلوس متهلة الوجه تصلي على النبي دائما ،
 وتضعه عند عتبة الباب بعدما ألقت فيه حفنة هائلة من البخور ...

* * *

الحاج الناصر صديق الحاج مصطفى منذ أربعين سنة ، لم يزل منذ ما يزيد على أربعين سنة ، تمارف في إدارة الاوقاف في الاربعينات عندما نجح الحاج مصطفى في المناظرة ودخل الوظيفة لموعد الحاج الناصر في الادارة وقد سبقه بسنة وكان مكتبه بجانب مكتبة سي الناصر .

تعاشرا سنوات الوظيفة كلها معاشرة طيبة صادقة سي الناصر يقول دائما لسي مصطفى : سي مصطفى ، وسي مصطفى يقول دائما لسي الناصر : سي الناصر بكل ما في الكلفة من تقدير وتبجيل واحترام . ثم حجا معا ، اليد في اليد ، ثم تعاشرا بعد الحج كما تعاشرا قبله ، ومرت سنوات الوظيفة كلها في تحاب وتوادد وزيارات عائلية متبادلة في المناسبات وغير المناسبات ... وصارت الحاجة « بيته » تكن بدورها للحاجة خديجة كل ما يكن الحاج مصطفى للحاج الناصر ...

ثم أتى التقاعد ولا بد له أن يأتي احبوا ذلك أم كرموا ، ففرق بينهما وبعدت الثقة ... ويتقادم العمر ومضي الايام والاشهر والاعوام انحلت عرى الصداقة دون أن يشعرا ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وفي الحقيقة والواقع فالدار لا تبتعد عن الاخرى أكثر من ربع ساعة سيرا على الاقدام ، فدار الحاج مصطفى داخل بلدة أريانة في حي من أحيائها العتيقة الشعبية ودار الحاج الناصر خارج بلدة أريانة ، وتوجد بين مجموعة ديار عربي قرب السواني والمزارع التي تحف بالطريق المؤدى الى قرية سكرة ، ولها حديقة محترمة تحتوي على بعض كروم وبعض أشجار تين وبرتقال وزيتونات وبشر .

... كان الحاج مصطفى يقطع المسافة بين الدارين في اقل من ربع ساعة عندما يود زيارة صديقه في أى وقت شاء ... وكان لا يفكر أبدا في المسافة التي تفصلهما ولا تخطر له على بال ... ويقضي العشية كلها أو الصباح كله مع صديقه في قاعة الجلوس أو في الحديقة قرب البئر تحت شجر الزيتون إذا كان الفصل صيفا أو خريفا ... ويقسم عليه الحاج والحاجة أن يتغذى عندهما في الدار ... وتحضر لهما الحاجة خديجة القهوة أو الشاي ثم تقوم الى المطبخ لتهيئ لهما الفطور أو العشاء... وكانت رحمها الله طباحة ماهرة...

وجعلت الزيارات تقل وتندر بفعل الزمن منذ: تقلصتهما... ومن ثم إن ضار الحاج مصطفى يشعر بالتعب ويقضي ليلته يتألم من زيارته الرومانيزم... وتشتد آلامه كلما خطا خطوات وتنقل في الشوارع على رجله... وجعل الطريق يصعب عليه ويطول ويرهقه ما بعده أرهاق، حتى انقطع تماما عن زيارة صديقه في السنوات الأخيرة فانقطع صديقه بدوره عن زيارته... وفرق في نهاية الأمر له الرومانيزم بين الصديقين..

ومرت الأعوام وانتقلت الحاجة خديجة إلى رحمة الله ومصر عامان على وفاتها ولم يذهب إلى صديقه ولم يحره.

★ ★ ★

... هذا الصباح أقر الحاج مصطفى العزم على الذهاب لزيارة صديقه ولتقديم تعازيه كلفه ذلك ما كلفه... وأخرجت له الحاجة « بيته » ملابس المناسبات : أخرجت له جبة المناسبات وبرنس المناسبات وحذاء المناسبات وجواربه... فصديقه غاضب عليه ، شديد الغضب... وله الحق أن يغضب كل هذا الغضب... ولربما يمر العمر دون أن يشاهد أحدهما الآخر... إن هو تماذى في انقطاعه عنه... مرت كل هذه الأفكار السوداء بخاطر الحاج وهو يرتدي ثيابه بعد فطور الصباح وزوجته بين يديه في غرفة النوم ، تمد له البداعي البدعية بعد الأخرى وتعيّنه على ارتدائها... ثم تتناول المنتين من فوق الفراش وتفتحه وتساعد زوجها على إدخال يديه فيه ثم تخف الحاجة رغم سنها وتقدم له الحذاء وتدنيه إلى حافة الزريبة ويخطو له الحاج بتؤدة خطوات حتى يصل إليه ويشد على كتف الحاجة ويدخل رجله في الحذاء بصعوبة وعناء الواحدة بعد الأخرى لم يقف تماما ويتجه إلى مرآة القلص... وتشاهد الحاجة اذاك وهي تقلب المنتين « تبقيعة » على صدره فتدني رأسها منها وتنظر فيها مليا للتحقق من وجودها ثم تقول للحاج بحيرة :

- سي الحاج تبقيعة في المنتين !!

فيجيبها قائلا :

- آه تبقيعة ؟؟

فتقول له هامة مرتبكة وهي تتثبثها وتجيل النظر فيها :

- صغيرة ، هي صغيرة !!

فيجيب الحاج بغضب :

- عيب عليك عيب .

فتقول له الحاجة بسرعة وحسرة :

- والله ما رايتها

فلا يجيبها الحاج مصطفى بل يبقى واجبا امام القلص ، وتوزع زوجته الى المطبخ ثم تعود بصحفة فيها ماء سخن وتفتح باب القلص بسرعة والصحفة تتطلع في يدها وتخرج قطعة من القطن ثم تجعل قبل القطن وتمسح به المنتان قائلة وكأنها تسر للقطعة او تحت نفسها :

- ما هي تتنحي ، تتنحي بسرعة .

يبقى الشيخ برهة صامتا جامدا ثم ينطلق ذقمة واحدة :

- هكذا « بيه » توه تعطيني ، في آخر دقيقة تلقى باش تعطيني ؟؟

فتجيبه مرتبكة متغيرة الصوت :

- لا والله ما رايتها !! قلت لك والله ما رايتها يا سي الحاج توه تشيع

بسرعة ، تشيع !! <http://Archivebeta.Sakhril.com>

وتتابع تنظيفها وتعود تغطي القطن في الماء ثم تمرره على المكان الوسخ من المنتان ...

يعود وينطق الحاج بغضب شديد وقد عيل صبره :

- هكذا كل مرة لازم تخلقي حاجه ، كل مرة لازم تعطيني وتطلي الدم لراسي ويرفع صوته اكثر صارخا ، توه والله تخلف بيمين ما نمشي وما نخط ساقني وننزح الحوايج الكل .

فتسرع الحاجة وتجيبه متوسلة وقد اشتد اضطرابها وتغير صوتها تماما وازداد ارتباكها :

- يربي يا سي الحاج صل على النبي ، صل على النبي ، توه تشيع بسرعة ، وسع بالك هدي نفسك . وترفع صوتها قائلة : ووه توه ما صارشي !!

ويجيب الحاج بحدة :

— ما صار شيء ، والآن قطع الحقونه ، فحسرت من طارأ عليّ ، وصندري قبل بالماء وأنت تحك وتكرّر وتقول ما صار شيء .

وتجيب الحاجة بنبرة صابغة وبهجة عميقة :

— انتهيك ، خطائي انصرفت ، والولله ما جريت ههنا يا بني مصطفى ، توه كان ريتما نخليها تعرافتي بتخليها ...

سكتت وسكنت وتابعت تمنّاية وإثقان منحنية علقها في صمت ثقيل والحاج ينظر اليها بمؤخر عينيه ويتابع تحركاتها وقد هُدا غضبه وخفت حدته ...

ثم سمعته يقول :

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... الآن ... انتهيت الآن وإلا لا ...

— نعم ، انتهيت ، انتهيت !

تضع بعجل الصفحة على الكرسي وتلقي قطعة القطن داخلها ، ثم تتناول الجبة من فوق الفراش بحذر كبير ويرقعها الحاج وترقعها معه حتى يدخل رأسه فيها وحتى تسزل وتسدل وتغطي السروال الأبيض وتغطي المنتان وحتى التبقيع التي استدارت واتسعت رقعتها وصارت حالكة اللون تشاهد على بعد ... وأخيرا تضع الحاجة « بيته » البرنس على كتفي الحاج وهو واقف صامت أمام المرأة بعدما عدل الجبة وسوى لها أكمامها ... وتدور الحاجة حوله لتنحي عن البرنس بعض قطع الصوف العالقة به ...

أخيرا تناول الحاج عكازه ، فتح الباب وخرج ، وأغلقت زوجته الدار خلفه بعدما أطلت على الحاج وبقيت برهة تنظر اليه وهو يفارق الدار ويأخذ طريقه صوب سكره ... وانطلق في الشارع يدب رويدا رويدا ينقر الأرض بعكازه تقرا خفيفا عند كل خطوة يخطوها ويحرك رجله بهل وحيلة وثبات ... ومن حسن حظه كانت الشمس مشرقة في هذا الصباح وكانت بعض سحب بيضاء لامعة غير سوداء ولا داكنة تمر بهدوء ، هائلة في سماء زرقاء تلمع زرقة لا تنذر بقدوم أمطار لا في هذا الصباح ولا في المساء ولا حتى في الأيام المقبلة ... وتابع سيره .

... وابتعدت بعد ذلك المتورمتان يعلو ومهل وبمعت فيه الشمس الدفء والنشاط وشيئا من السرور وانشرائح معلنة عن خروج الشمس وإطلال الربيع ... وتشتم الحاج نسيمات الربيع خفيفة هامة تتحرك لها أربنتاه وتشجع الحاج وتحامل على نفسه وتابع الكثير ... ثم شتمت بهذا التثاقل أنه يستطيع المشي على قدميه ولأن رجله قهقهة يد يدون تلك الآلام الفظيعة التي كان يتوقع استيلاءها على ركبتيه ولا يستطيع ركبته الهمني ... كأن يتخوف من تلك الآلام التي تتمكن به أثناء الطريق عند تحرك رجله وتشتد عليه وتقسو كما اشتدت وقست في الأيام القارعة !! ...

وتابع سيره وفارق بلدة أريانة واندفع في طريق سكرة المعريضة الممتدة أمام عينيه وجعل يحرك رجله بمهل وثبور ... وبعد عناء ليس بالمؤلم ولا بالعسير ، وبعد ظهور بعض حبات عرق على جبينه ، وبعد استراحة وجيزة لم تستغرق أكثر من عشر دقائق وصل الحاج مصطفى إلى دار صديقه الحاج الناصر فلم يصدق نفسه ومع ذلك وصل ... ومد يده وطرق بابها .

* * *

سمع خطوات سريعة تقترب ثم فتح الباب وظهرت له امرأة شابة جميلة مشرقة الوجه فسألها الحاج باضطراب طائفا أنه أخطأ الدار :

- إنني أسأل عن دار سي الحاج الناصر ؟

فأجابته المرأة مبتسمة :

- نعم هذه داره ، تفضل من حضرتك ؟

فأجابها :

- الحاج مصطفى .

مرت لحظة صمت ثم أجابته وقد ازداد ابتسامها وازداد وجهها تالقيا وانشرحا :

- أهلا وسهلا ، مرحبا بك تفضل !!

دخل الحاج الدار ودخلت المرأة وراه بعدما أغلقت الباب ... ثم أسرعته وسبقته خطوات وفتحت له غرفة الجلوس قائلة :

سبي الناصر الخراج العشري لا يظهر ، وسليمان بن عبد العزيز ، تفضل واسترح قليلا .

دخل الحاج مصطفى الغرفة فاصابه ذهوله شديد ..

الإرائك كلها بدلت بلوائك جديدة له الينك الذي اعتاد الجلوس عليه اختفى من المكانة فغوض بكنبه نظروا إلى القفزة في المرقوم القديم الذي تماثلت ألوانه فصار في لون الرهاد اسكله عوضوا عندهم ما وجدوا مكانها زلوا في جديدة زامية الألوان بدية ، من النوع الرقيق .. وتابع وأجال الحاج نظره ولم يصدق ما تشاهده عيناه ... كل شيء تغير في القاعة من الأرضية الى السقف : ثريا ضخمة فخمة تتدل وسط الغرفة ، البستر تنسدل عند النوافذ مطرزة شفافة بيضاء حتى طلاء الجدران تغير واختفى ذلك اللون الأزرق الداكن الذي كانت تحبه الحاجة خديجة وتخيره عن كل الألوان ، اختفى وحل محله اللون الأبيض الناصع ... وزالت تلك الرائحة التي تشبه رائحة النفتالين والتي كانت لا تفارق أبدا أنه عندما يزور صديقه وعلى الأخص عندما يدخل قاعة الجلوس هذه ، اختفت تماما زالت تماما وانتشرت عوضها رائحة طيبة جديدة ... وجهاز التلفاز عظيم المرأة صامت أبيض في مكانه يلعب فوق طاولة عصرية بأرجلها المعدنية ... كل ما في قاعة الجلوس جديد لامع يبرق جده وبهاء ...

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ويلقي الحاج نظره من حين لآخر خارج القاعة بحيرة فيشاهد المرأة تنقل وسط الدار بخفة ورشاقة ، مزدانة ، تلمع فرادى ذهب في معصمها ... وهي ترفل في فستان أبيض ناصع البياض مطرز الحواشي والصدر ... وتدخل من حين لآخر الى قاعة الجلوس وتقول مشرقة الوجه مبتسمة :

— مرحبا بك !! مرحبا !! سبي الناصر حدثني عنك كثيرا ، سوف يفرح اليوم بقدمك ... سوف يفرح بلقائك ويسر ...

انمقد لسان الحاج ولم يدر ماذا يقول ولا ماذا يفعل ... وفتحت المرأة خزانة بلورية وأخرجت كؤوسا مذهبة ، وطبقا فضيا ... وقدمت المشروبات والحلويات ... ووضعت طاولة بالصدف أنيقة أمام الحاج ... وأقسمت عليه أن يشرب ... وأقسمت عليه أن يتناول قطعتين ، وثلاثا من الحلويات ... ثم طلبت منه هل يريد قهوة ... وخفت الى المطبخ ، وبعد دقيقة ، عادت اليه تحبل له قهوة معطرة لذيدة ، بخارها يتصاعد ، في فنجان مذهب جديد ...

رأسه وأخبره عاد الحاج الناصر ، إحداهما المفتاح ودخل الدار ، وسمعه صديقه
من السقيفة يصيح :

- أين أنت يا وردة ؟ ليلة تطفونة 118.

فلم يصدق أذنيه ... ثم دخل وسط الدار فشاهده على بعد ، في بدلة
زرقاء جميلة دون عكاز ذلك الذي كان لا يفارقه أبدا ، دون نظاراته
السوداء الداكنة تلك التي كانت لا تفارق عينيه أبدا ...

اندعش الحاج مصطفى وفقر فاه ... ثم سمعه من جديدة يصيح ملء صوته
وهو يتنقل وسط الدار :

- أين أنت يا دنيا 19 يا زهوة البال 119 ...

فأجابته من المطبخ منطلقة ضاحكة :

- اسكت يزى ! عندنا اليوم ضيف ، وهو يترقبك في الصالة ...

اتجه الحاج الناصر الى قاعة الجلوس بسرعة فشاهد صديقه فتصافحا
بحرارة شديدة وتبادلا التحيات والقبلات بشوق كبير ... ثم لم يدر الحاج
مصطفى بعد ذلك ، ماذا يقول ... ولا ماذا يفعل ... وهذه الجميلة الريانة
تنقل بين يديهما مبتسمة التفرقة مشرقة الوجه ، منيرة مضيئة كالقمر ...
ثم ابتسم ، والتفت الى صديقه ، وخرجت الكلمات دفعة واحدة وهو يبتسم :

- أقول لك ، أنا غضبان ، جد غضبان ، أنا أتيت لأخاطبك وازدادت
ابتسامته ، لانك لم تستدعني الى زواجك ... أنا غضبان جدا ...

وأجابه صديقه بسرعة ، منشرح الاسارير :

- أنت كنت في رادس ، ذهبت الى منزلك فوجدته مقفلا ، وقال لي
الجيران : إنك في رادس يا رجل ...

.. بقيا ساعة يتحدثان .. فى قاعة الجلوس .. ويتناولان المرطبات ..
ويشربان القهوة ...

... ثم أقسم عليه الايمان كلها ان يتناول فطور الغداء عندهما وزاد
وأقسم عليه الايمان كلها أن يقضى العشية كلها عندهما فى البيت ...

محمود بلعيد

همس في الظلام

هل أمتح نفسي حق الاثتجار وما هي تراود . فقد لحصت لي الحياة .
 فاذا هي : الغين ولا شيء غيري ، الجربيل ولا شيء سواه . وارتنى صورتى
 - ولعلها غالطتنى - فاذا أنا لا أشبه أحدا . وما من أحد يتشبه بي حتى
 الحيوانات المشوهة بعيت الزمن - فغراؤها - أن تتعامل يوما ما مع الحظ ..

ويرفض هذا التعس أن يخالط أفكارى . ربما لاني أحق ولكن ما بال
 غيرى من الحمقى يلاعبهم هذا الطائر المفزوع وينتفون من ريشه الناعم ما
 يستر عاهاتهم . قد أكون حشرة خبيثة أو سامة من الزواحف وما أنا كذلك
 إن صدق ما سمعته عن نفسي . ولكن ليكن أنى كذلك فما بال الطبيعة
 أفردتنى من دونها وقد سوت بين الجميع فتمنحتها الحياة ومكنتها من شرعية
 الدفاع . وأوكلت لها التصرف فى ممارسة الجنس فضيقت لها بذلك حق
 الاستمرار .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لا .. ما أنا بحشرة ! ولا زاحفة . ولا حيوان مهما ارتقى أو انخفض .
 ولكنى إنسان . اشهدوا انى إنسان . ولو تخلصت من هذه الاسمال فأصبحت
 عاريا لما قدر أحد على كتمان ذلك .

قد يكون الحل فى تركيبتي ، وقد يكون عقلي متسرבלا بالتخلف . وقد
 أكون خلقت قبل الاوان أو بعده .

ولكن كل هذا وذاك بعيد عن استطاعتى ولا قدرة لى على غير تحمله وما
 أنا بأول عاجز ولا مقهور . وهذه أشلاء المطحونين تتطاير من حولي تقذفها
 أرجل الدهر . وعندما تهوى تسحقها الاقدام فتحيلها غبارا وتسر مواكب
 الانسانية فى عرسها فلا يتوقف أحد للسؤال .

اغني يا نفسي من التكويس الى الماضى إذ ليس هناك من يدلني عليه .
 والكل جحود . وأما حاضري فانا وحدي الذى أكتبه بحروف غلاظ . وأزرعها

لعلها تنبت خرافات فى الرؤوس . ومن يدري فقد تنمر بشعره فى الماضى له باب واحد وابواب المستقبل لا تحصى .

واخيرا اقول لك يا نبتى الامانة . بالنسبة لى كلاب الضياع ، يا من تحاولين الهرب مني . ولكن الى اين ؟ إذ ليس لك مكان وقد فقدت الزمن . ليس تحت السماء رجل معين والمطر يتساقط على الجميع .
- كفافك يوما ايها الهمد : ففى اى والد كنت تشيع .

قال رجل من الجلاس واردف : لقد لعتبلا الجبد فسياء وانيت تلتقط قلنسوتك التى غادرت رأسك الاصابع . وقد انتفضت فجأة .

- قد اكون غفوت . فالنوم جفائي الليلة البساجة وليس لنا يصندر عن السامى من ملام .

- يقولون انك ورثت عن جدك لامك ملام وعادات !
وتسائل ضاحكا :
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- وهل بلغك أن جدي لامي كان فساء ؟
وأبيح الضحك فهو مشاع .
وعقبت : ليتة أورثني من جذعه الأعلى .

وإن جدك الذى أتى ذكره على لسان القوم كان طريقا تمر منه الاموال الى الآخرين . لم يكن سمسارا ولكنه كان شبه واسطة بين تنقلها . ولم يكن مرابيا حتى لو تعاطى المهنة فقد عاش فقيرا مملقا ومات . وكان يقوم بدور الماعون يؤكل ما به من طعام ويغس فى الماء . وكان لا يهيمه من كل ذلك الا أن يكون الناس فى حاجة اليه فكان يظن نفسه أنه هو السوق فاذا غاب يوما أقفرت وانقض قاصدوها .

وكان يعتقد مثلك تماما : أن السماء لا تنظر لرجل بعينه وأن خيوط الشمس تشع على الجميع ..

وحيثما سالت فلهم هذا من (ت) ؟

جاءك الجواب على لساني أجد الجلاس :

- أنت وأنا . ونحن جميعاً كعبة من خردل القيت بليل دامس فابحت لك عن المستحيل فإذا قبضت عليه فلعلك واجد تلك الذرة .

ونفضت عقلك تدراً عنه التأملات المخزية . . . وقلت : لعلها ثروة حراس العمارات والغراغ لا تملؤه الا الافكار الجافة فتتولد من هنا فلسفة اللاشيء . وانت تتأرجح كورقة خجافة تدفع بها رياح الاعصار .

وعلوك السؤال وبالحاج هذه المرة : من أنت ؟

وهذا المسجن امامك والذي ليس له قدرة على رفع يده أو دفع رجله ، ترى أين يتعذب ؟ وماذا ينتظره ؟

واصطدم بصرك بصور الحائط . . . وقلت موقناً : لا بد أن تكون لهذا الراحل الذي انتدبت لأتأمله عليه كلمات الرب وأسمح جسده بالطهر . ومع اني اجهل ما قال الرب فاني سوف أتلوها في نفسي . أو لست أنا وما أقول من صنعه . أف وما شأنني أنا بما كان عليه أمر هذا الراحل قبل الآن ؟ لقد انتهى كل شأنه وما هو يستند في استسلام عجيب . وترشغت القهوة فوجدت طعم المرارة ينطلق من فيك فيعم كل جسدك . وقلت : القهرمانه التي اغرقتني بالامتثال هي التي وضعت المر في الفنجان .

وانتظرت أن يكلمك الجسد الممدد على الحشية . ورفعت نظرك الى الصورة تستنطقها وتناجيك الخوف :

لو سألني فماذا عساني أجيب ؟ سوف أقول :

اسأل العجوز التي قادتني فهي وحدها القادرة على الجواب . اما أنا فاني تبعيتها فقط من أجل أن أتلقى أجراً . لا لن أقر بعجزى فقد يستسهل أمرى فيجبرني على الموت بدله . لكنني سأقول : إني محامي . أليس هو مقبلاً على محاكمة وما هو في سجنه الآن ينتظر ذلك .

ورفعت رأسك وبصرك هذه المرة تستنطق صورته . إنه لم يزل على عتبة الحياة . ترى ما الذي جعله يفادرها بهذه السرعة .

وأطلت المعجوز وقدمت لك المرطبات وتقبلني إنه تنفطرحه وثقت في أجسد
الحاجة لذلك بل هي إحدى أمانيك أن تنفرد بها في خلوة كهذه . لكن سبق
تفكيرك تشهيك فالهاك وقلت : لعلمهم يفرحون بالتخلص منه . فيبذلون
المرطبات عوض الدموح .

وسمعت بوضوح رد الصورة : لو اهتممت بنفسك . فأكلت وشربت ثم
تقبض أجرتك وانت تنصرف .

انت ترغب في التعرف علي . فهل يجرئك ان اتعرف لنا عليك .

وقلت : لا أرى حرجا في ذلك فليس في نصيحتي غير أن ينظر الواحد بل
ليست الا كاحدة واحدة . أنا اليأس . الحب عزه في القاموس . في الحياة .
في الموت . في نفسك ونفوس الآخرين . فليس له إلا صورة واحدة .

لقد حرب من كل الناس وتجمع في مكان واحد وفي شخص واحد . ومع
ذلك فلم يزعجني في يوم ما فيجعلني أفكر بالاستتار منه خالف الموت أو
الهروب الى المواقع المريبة . وعلا بنصيحته امتدت يدي الى المرطبات . واني
لاغيظ البؤس ولذة طعمها تشرب الى كل عضو في جسدي فما مارست
عملا في حياتي أجمل مما أنا فيه . وأتمهل في المضغ كي أطيل اللذة
وقلت : حتى لو حاصرك اليأس بكل جيوشه وضيق الحصار . ما قدر على
منع إشارة من نعيم تصل اليك أو همسة من سعادة تنفذ الى أفكارك .
وحديثي نفسي أو لعلمي أنا الذي تحدثت اليها :

لعل هذه الانواع هي الدواء الوحيد لدرء القنوط .

وعجبت كيف ياكلون من هذا ويتذمرون ! فلو خالطهم يوما ما خالطني
الدهر كله ؟ ترى ماذا يفعلون ؟ وتركزت الرسم يتحدث وسهرت عنه . أهملت
التحكم في بصري فاذا هو يتحول الى صور أخرى مرتبة الواحدة تلو
الأخرى : الاولى كان صاحبها يرتدي زى الضباط ولم أجد له شبها فيما رأيت
من الناس والحيوانات فلم أتصوره حتى أصفه . ولعل الهرجة
حجزت الرؤيا فانصرفت عنه الى الذي يليه فاذا هو شديد الشبه به غير
أنه يبتسم . وتساءلت : متى تنتهي هذه الابتسامة ؟ ومن عبادته السوداء

الفضائل ولعله سبحانه وتعالى وقته قضية العدل يتنازعها هذا وذاك .
وقالت أخيرا : مالي ولهذه القضايا هل وصل بي الفهم الى حضيرة النقاش
فانا استمتع بلذة أكل البقالة ، وتلك أمنية لم أعرف عليها الا من خلال
الصدف . فكيف أمزجها بهذا الذي يخالف أفكارى وأحجب المتعة متعمدا .
وكان آخر ما رأيته ، وأنا التهم آخر قطعة ذلك الاطلاق الجليل الذي يتوسطه
رسم لشيخ معبر وكانت عمامة من ذلك النوع الذي غاب عن ناظرى وامحى
خياله من خاطري فلم أعد أتذكره . ولكن احساسا قويا خالطني بانى أعرفه
بل ان ذكرياتى التفت به فى زمن ما .

نعم انى أعرفك ايها الرسم الشيخ ، انت الامام سحنون ، لانك ابن
عرفة . بل انت ابن خلدون . وإذا لم تكن فقد خيبت ظنى ، يكفي أنك
انجبت هؤلاء ان كانوا بحق ابناءك . وليس من حرج حتى لو كانوا احفادك .
فانت عظيم فى صورتك وما ان الوقار لم يفارقك . ولم ينزع الحير عن وجهك
وعلت الزغاريد فى البيت فاعماك الدهول : انت فى ماتم ؟ أم هى الاوهام
خاقت فى عقلك عرسا . وجاهك اليقين من نقر الدفوف . فاشتقت لرفع
عقيرتك بالغناء . وقلت تخاطب ذاك المسجى : ها انهم يفرحون بموتك . لو
كنت مكانك لما ترددت فى ردعهم . فنقضت الموت لبعض الوقت وقفت
أربعهم ، انقص شمسائهم . ولكن ما كان لا يمكن ان يكون .

اعتذر إن أنا خدعتك . وقد اتوا بي لأتلو عليك كلام الرب وما أنا بأهل
لذاك . وما لقنت كلمة للرب فى حياتى فاحتفظ بها لنفسى . فكيف أرفع
بها للآخرين . وأخيرا ما نفع الكلام اليوم . انا اعتذر فقط للحاجة والحساسة
هما اللتان دفعتاى لأمره . وانى لاخشى أن أتلو عليه سورة الرحمان . وهو
كل ما أحفظ . فتذهب مغموما وانت تفوص فى المجهول لقد استفاد كلانا .
فانا أكلت أمانى وقضمتها بين أسناني . وانت وجدت من يجلس اليك حين
انفض عنك الكل . وتوجهت بنظرى الى رسم الشيخ أشهده : اليس كذلك
يا سيدى الشيخ ؟! ولم يتحرك الرسم ولكنى سمعت آفة وما تبيننت مصدرها
ولعالمها منى أنا بالذات فنفسى غالبا ما تصدر عنها مثل هذه الاشياء .

وقلت للشيخ : لو أردت السؤال عنك فلن تشير .

وجاء جوابه سريعا : انا من خيرة بني آدم ولست تجهل أن آدم من
تراپ .

قلت: زعيم يا شيخه الاطباء، ولكن، يكمن في التبريد من هذا وحده فقط - لا يتحدث عن العناصر الصحيحة. واترك لغيرك الخوض فيها. ولا هلكيت.

قلت: وماذا بعد ذلك؟

قال: انك لعنيد. ومن كان مثلك لا بد ان يشتكى ولو استبعد الغير. وانك لتطفل. تعيش من اجل الفضول ولو عدت لثقتك لا غيرت بك نفسك.

ودخلت العجوز التي قادتني لهذه المواقف مزعومة وقلعت لي مشروباً فانا اتلذذ بحلاوته وهي تقف امام صورة الشيخ تحاطبني: لقد فعات ما اردته انا في حياتك. وما اني افعل ما اردته انت بعد مماتك.

وفاجاني سؤال لا ادري كيف وصل الى عقلي ومن اي ثقب: قسروكم يصنع رطل من الحيوانات المنوية بشرا؟

وقالت العجوز: لقد كنت متشائمة وكنت المتفائل كنت انا انجب والوت يحصد. قال الناس والاهل: انها كالهرة تاكل جرادها بعد الولادة. فصمت اذنيك وازددت قرباً مني. وغادرتني تاركا بقيتك في احشائي. اذ لو كنت تشهد معي عرس احفادك اذن لكنت السعيدة. ولكنها الحياة فاخر درجة في سلم الكمال هي النهاية.

وافقت من حيرتي والسؤال يتراجع: قد يصنع الرطل عالماً من البشر وقد لا يصنع شيئاً. وتذكرت - وانا اكاد افهقه - قصتي مع العجوز وقصة حبة القمح في رقعة الشطرنج.

وعاودك التساؤل: من انت؟ وتاملت فيمن حولك. وتحولت تثبتت من نفسك. وقلت تسال الحاضرين وكانك تعود من غيبوبة:

- ألم ياتكم خبر عن جدي؟ او اثر اكتشفتموه.

وقال احد جلاسك: لا بد ان يرث الانسان شيئاً ما عن اجداده وقد ورث بعضهم الجنون وآخرون ورثوا الحق فهم يتطوفون به في كل مكان. اما قصتك مع العجوز هذه فمريبة ومن العسر بمكان ان تلج الى عقل برى.

القناعات الشخصية لأيوب الصابر

يجلس أيوب وراء المقود ويضغط على دواسة البنزين فتتحرك السلفهة بصعوبة . ورغم أن بعض دخان المحرك يضرب يمين مكثان أما إلى داخل السيارة ، ورغم أن مؤشر الحرارة يستقر مباشرة في المنطقة الحمراء إلا أن أيوبا يبقى متكئا بذراعه إلى فتحة البلور الجانبية كما اعتاد أن يفعل دائما . يسمح أيوب الرصيفين بنظراته في انتظار حريف ما مع اقتناع مسبق بأن ذلك لا يحدث إلا نادرا ويكون صوت العداد رتيبا يحفر في أعماقه شعورا بالضيق ماأنفك يتفاقم منذ واجه الشرطي الأول ثم الآخر . والآخر . . ومنع تكرار ذلك وتكرر خبر الزيادة في أسعار المحروقات مع نشرة الاخبار بدت أضواء المرور أكثر حمرة من الأيام السابقة وتأخذ وقتا أطول عندما تثبت حمراء . ويكون الضغط على الفرامل يعني في كل مرة دفقة ضائعة من البنزين . ككل مرة يمر فيها نظر أيوب من الواجهة الخلفية التي تنعكس على مرآة الامامية إلى الطاقة التي تعلو رأسه بتصدر بعد ذلك إلى تلك اللافئات النحاسية ذات الحروف السوداء المثبتة عند الجزء الامامي لسقف السلفهة . من هنا تبدأ القناعات الشخصية لأيوب .

« ممنوع الحديث مع السائق » :

ينظر أيوب إلى اللافئة النحاسية التي تحمل عبارة « ممنوع الحديث مع السائق » ثم يضغط على المكبح فتترنج السلفهة قبل أن تتوقف متمهلة مصدرة صوت أزيز يلفت لها أنظار أصحاب السيارات ، الأخرى . على يمين السلفهة تتوقف تاكسي حديثة ينظر سائقها بكثير من الازدراء إلى عجلات السلفهة ثم يركز اهتمامه على صوت الهاتف الآلي الذي يصدر له أمرا بالتوجه إلى الحريف الموالي . وما إن تمر الإشارة الضوئية إلى اللون الأخضر حتى تنطلق السيارة الأخرى برشاقة قاذفة في خياشيم أيوب دخانها الأسود . وبثناقل تتحرك قدم أيوب في حركة موازية لحركة يده التي تحول

فضيب التمارع ولكن السلحفاة لا تجر جر عجلاتها الا بعد ان يرتفع صوت منبه السيارة التي تليها زاعقا ينرفزة صاحبها .. ثم تتجاوزها السيارة الاخرى والسيارة الاخرى وتتابع انظار ايوب سحب الدخان السوداء وهي تتمدد ورائها من خلال المرآة الخلفية . وبذلك الشكل كان ايوب يكبر داخل السلحفاة ..

يقول ايوب انه ولد عندما وجد نفسه داخل السلحفاة جالسا وراء المقود يتجول في شوارع المرفقة تتطاول فيها لهعة الحركة بين دواسة البنزين والفرامل .. وعندما يصل ذلك انه يسبح في « تاكسي .. تاكسي .. » تتحرك يده تلقائية في اتجاه العداد في الوقت الذي تدوس فيه قدمه على الفرامل .. اما قبل ذلك فلم يكن ايوب أي شيء .. وعندما يرخي ايوب القبة الصوفية على اذنيه وحاجبيه فذلك يعني « متنوع الحديث مع السائق » وعندما تشهق السلحفاة لان المصفاة تحتضر فذلك يعني « متنوع الحديث مع السائق » وعندما يتذكر ايوب بناته الثمانية والجنين الذي يأمل ان يكون ولدا فذلك ايضا يعني ان القبة الصوفية تزداد تمططا كي تغطي أسفل الحاجبين والاذنين ويصبح الكلام مع السائق متنوعا متعلبا باتا .

« ان الله مع الصابرين » :

عندما يرفع ايوب نظراته الى اللافتة النحاسية التي تحمل عبارة « ان الله مع الصابرين » تكون حركة الشوارع غير عادية بشكل يحس به ايوب دون ان يفهمه فرغم تقدم الصباح الا ان الحركة كانت خفيفة . وبعد حين يكتشف ايوب ان الحافلات شبه غائبة ولكن الحرفاء ايضا اقل من العادة وكان اليوم عطلة ولكن حضور أعوان الامن بهذا العدد المكثف يعني ان احداثا غير عادية هي بصدد التهيء . من حين لآخر تتجاوز السلحفاة سيارة يرمي ايوب سائقها بنظراته فيزداد اقتناعه بان رجال الامن في كل مكان .

كان يمكن أن يكون ايوب في سيارة أخرى تتحرك باكثر رشاقة تاتيها التعاميمات بالهاتف الآلي ويجلس على الكرسي الخلفى لسيارته اولئك الحرفاء الذي يتركون ورائهم رائحة العطر وليس هؤلاء الذين خلفوا ورائهم الازقة وذلك يعني ان ايوبا في حاجة الى الانعطاف الى احد تلك الازقة الخلفية حيث

الجنينة المتوهمية كى يفعل- أزعمية- السيارة قبل ان يأتى الحرف المسوولي
خاصة ان المرأة الأخيرة التى انزلتها قرب السوق المركزية قد حفظت طويلا ثم
قالت وهي تنصرف: ان المراحل أصبحت في كل مكان . وكان أيوب يفكر ان
يعلق على كلامها بان القذارة نابعة من احساسنا في اعماقنا لكنه تراجع في
آخر لحظة شادا القبة الصوفية كى تقطعي كامل اذنيه .

أحيانا يقف أيوب عند المرحلة الجنينية من حياته كى يتذكر تلك القرية
الواحة التى أطلقتته في يوم ما بعد ان طبعت بصماتها على صفحة رأسه بقعا
يلقاها وما ان دخل المدينة حتى اكتشف ان الرأس يمكن ان يكون عورة ومنذ
ذلك اليوم لم يترك رأسه مكشوفاً وحتى عندما تقبل عليه زوجته متغنجة كى
تقبل جبينه فهو يجفل ويرخي القبة على حاجبيه .

كان أيوب يعتقد ان المرحلة الجنينية من حياته قد توقفت مع أيام القرية
لكن منذ سنوات عندما بدأت تلك البثور تنتشر على بشرته لكى تعم تلك
الاماكن التى تسترها الثياب ادرك ان كل الوصفات الرعوانية لن تنفع لذلك
تجرا ذات يوم وعرض نفسه عارياً على الطبيب والقبة الصوفية التى لا
تفارق رأسه أمامه ينظر اليها مطاطيء الرأس والطبيب يسلم على رأسه
ذلك الضوء القوي وهو يفحص تلك البثور المنتشرة على الاجزاء الاخرى من
جسده بمشروط رقيق ثم سكب الطبيب على يده سائلا مطهرا وجلس يكتب
وصفته ... منذ ذلك اليوم اختلطت رائحة المراهم برائحة الجيوب برائحة
السوائل ولكن البثور لم تزد الا انتشارا ...

كل ذلك يمكن ان يحدث اما ان يهاجمه الحكاك وسط الحركة السريعة .
ويكون وراءه على المقعد الخلفي حريف يسترق النظر الى رقبتة مركزا نظراته
على أسفل القبة الصوفية فذلك ما كان يولد في أيوب شعورا بالاجباط وتمر
في ذاكرته تلك الافواه التسعة التى تنتظر ويتصور الجنين بنتا أخرى
تنضاف الى البقية ويخيل اليه ان دخان المحرك يملأ قضاة السلحفاة الى حد
الاختناق وتضغط قدمه على دواسة البنزين الى ان تشبهق السلحفاة
وتختنق ... عندها يصبح الكلام مع السائق ممنوعا باتا .

« القناعة كنز لا يفنى »

بعد أن استعادت السلحفاة اليعن من بريق كراسيها تحت تأثير الفك المتواصل تظن أيوب إلى أن اللافنة النحاسية الأخرى قد غشيتها ضبابة فبادر إلى الحنفية العمومية ليبلل الحرقه ويفرك اللافنة كي تبدو الاحرف سوداء داكنة : « القناعة كنز لا يفنى » .

يفكر أيوب أن أشياء كثيرة قد أصبحت موسمية في حياة هذه المدينة أو هو يتخيل الأمر كذلك منذ ركبت البثور بشرته وعاشرتها بكل تلك المراحل التي يمر بها بين البرعمة والانطفاء اكتشف أن أشياء عديدة أخرى تنمو بنفس الشكل كي تستفحل ثم تتناقص تدريجيا ولكنها تعود إلى النمو من جديد . وبهذا الشكل تبدو الأشياء مضحكة إذ لا شيء يندثر . ولكن التحول قانون المواسم .

هذا الشرطي الذي يقف هناك عند الزاوية كان في نفس الموقع منذ موسم وقبل ذلك بمواسم ...

تلك الهتافات والقبضات التي تمتد في فضاء هذه الشوارع من حين لآخر تعود بنفس رتابة المواسم التي عرفت من قبل ثم تختفي كما يحدث ذلك لتلك البثور التي تبعث الرغبة في الحكاك بشكل يجعل أصابع أيوب ترتسم حمراء وهي تضغط على المقود وذلك ما يبعث فيه الشعور بالحجل . ولكن أيوبا لا يستطيع أن يتوقف عن الحك إلا عندما تتحول البشرة تحت أظافره إلى جروح ويكون يفكر في كل مرة أنه سيسحب يده من فوق جلده لكن تلك البثور تلتهم من جديد كما لو كانت تشعل من الداخل ، وفي المساء عندما يبدل أيوب ثيابه ويتعري وحيدا ينظر إلى تلك الآثار التي تركتها أظافره على بشرته ويشعر أكثر بالحجل ويشعر أن كل جسده قد أصبح عورة وأن الطافية الصفوية التي تغطي رأسه يجب أن تشمل كامل جسده ... فجأة يكتشف أيوب أن السلحفاة تدب وسط الشوارع بلا سيارات تتجاوزها أو تعمل منبهاتها وتكون سحب الدخان السوداء تملط وراها والارصفة حافلة بالمارة كما يحدث ذلك أثناء الاعياد ومرور المواكب الرسمية . يشعر أيوب بتسرب الدخان بكثافة أكبر إلى داخل السلحفاة

ولكن ذلك لم يمنعها من ان تواصل زحفها وسط المصفى الاضيق من قبلها من حين لآخر تمر سيارة مسرعة تزيد اقتناع أيوب بان الامن في كل مكان . ونحن ملكان ما كان هدير خافت يتصلد مع همهمة مكتومة .. اصبح الدخان داخل السلخفة كثيفا مما جعل أيوبا يستعمل بشدة وشعر بحاجة الى الكساء . وكان مدعشا ان يرى دموعه تنحدر على خديه كما تعكسها المرآة الخلفية .

مرت نظرات أيوب الى اللافتة النحاسية التي لمعها منذ حين واكتشف ان الدخان قد بدا يحجبها من جديد ولم يبق بارزا الا : « القنعة .. لا يغني .. » . تعجب أيوب كيف ان دخان محرك السلخفة قد أصبح يحجب الرؤية وراء فالاشجار والبنائات قد غابت تماما ، ولكن الهدير ما زال يعلو والهمهمة قد أصبحت قريبة لا يفصلها الا ذلك الدخان الذي كان يزحف وراء السلخفة . ترنحت السلخفة وقزقت عجلاتها طويلا قبل ان تتوقف الى جانب الرصيف بعد ان غطي الدخان الواجهة البلورية أمام انظار أيوب .. كمان الحنك يتحرك على بشرة أيوب متصاعدا من تلك الاعضاء السفلى في اتجاه العنق . قد يكون هناك من صاح من بعيد : « تاكسي .. تاكسي » قد يكون ذلك مجرد تخيل السلخفة التصقت بالرصيف بعد ان شفت شهقة أخيرة .. لو كانت تلك الافواه التنسعة التي في انتظاره اقل بقتيل لأمكن لأيوب ان يدخر ذلك النسيب الذي تشترطه التعاوية لتحويل شراء سيارة جديدة لا تطلق كل هذا الدخان .. لو كان الهاتف الآلي يربط أيوبا الى التعاوية لما كان في حاجة الى ان يسمح الرصيف بنظراته لاصطياد الحرفاء طوال اليوم ... لو لم تكن تلك البثور التي غزت كل الاماكن الخفية من جسده لأمكن لأيوب ان يجلس من حين لآخر في المقهى عوض ان يعب طوال الوقت من ماء الحنفية العمومية ... كلها لو ... ولكن القنعة ..

قد يكون إعصارا ذلك الذي مر . وقد يكون طوفانا . وقد يكون أى شيء لم تتحدث عنه الاساطير فمع تلك الهمهمة التي ما انفكت تتصاعد قوي صوت الاقدام وهي تدق الارض وصوت الحناجر وهي تغالب سحب الدخان الكثيف . وقد يكون صاحب كل ذلك الكثير من أصوات منبهات سيارات الشرطة والاسعاف وقد يكون أيوب فقد القدرة على تمييز الاشياء عندما شعر بالاختناق يسد حنجرتة . فتح بوابة السلخفة فوجد الهواء خارج السلخفة اشد كثافة وتساقطت دموعه كما لم يحدث ذلك من قبل .. قد يكون ذلك

امتد زمنا ولكن الاكيد أن الطاقة الصوفية قد انزلت حتى غطت عيني أيوب وحاول جامدا أن يرفعها عن أنفه وفيه لانه كان في حاجة ماسة الى الهواء . ولكنها كانت هناك تسد حنجرتة .. قد يكون أيوب غاب عن الوعي مدة ما . وقد يكون تصور الاقدام تدق الارض من حوله . وقد تكون سيارات ضخمة مرت بجانبه . وقد يكون تصور أصوات الرصاص وهي تخترق سحب الدخان ولكن الطاقة اللعينة كانت هناك على وجهه وداخل حنجرتة ...

فتح أيوب عينيه ونظر حواليه . كان الشارع خاليا من الحركة ولكن بقايا العاصفة بقيت على الارصفة والاسفلت . وجد أيوب نفسه مستندا الى جذع شجرة وعلى خطوات منه كان هيكل سيارة صغيرة يرسل حلقات الدخان المتوجة في الفضاء . أزاح أيوب الطاقة التي استقرت فوق حاجبيه عن رأسه وتأمل الهيكل الذي كان يحترق ... تفكر تلك الالفة النحاسية التي حاول أن يلمعها طويلا لكن الدخان حجب أغلبها .

احمد ممو

تونس في 1983/9/6

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأليف : شري ذروشي
تعريب : شوكت يوسف

الشیطان (*)

فور عودتی الى البيت مساء بعد العمل خلعت سترتی وقلت لزوجتی :

— كان يوما صعبا .

استدارت نحوی اثر ذلك وسالت بلهفة وقلق :

— وماذا حدث ؟

— سرحوا «رام» من العمل . بلغوه اليوم ذلك بشكل رسمي .

— سرحوه ؟ يا الهی ! وكيف سيكون حاله ؟!

وضعت الزوجة إبريق الشاي على الموقد . ضمت كلاهما لبرمة غير قصيرة
ورحنا ننظر الى اللهب الأزرق والى بخار الماء المندفق من الأبريق .

أخيرا قطعت حبل الصمت :

— خبر «زعج طبعاً . أجارنا الله من الأسوأ

— وماذا تعنى ؟

تستعد شركتنا منذ زمن بعيد لتقليص الملاك . والحديث عن ذلك جار منذ
شهرين أو ثلاثة . طردوا «رام» . وكان ممكنا طرد أى عامل آخر . أنا مثلاً .
أحمد الله على أنى نجوت .

(*) شري ذروشي ، روائي ، قاص ، مترجم ، وصحفي هندي معروف ، ولد
عام 1959 ويكتب باللغة المراتية . أصدر أربع مجموعات شعرية . حصل
على الجائزة الهندية الادبية فى مسابقة القصة المكتوبة باللغات الوطنية .
قصته «الشیطان» صدرت ضمن مجموعته «مختارات» الصادرة عام 1959 .

— تدهشنى أنايتك !

— اعترف أن مثل هذا التفكير غير حسن . لكن تصورى لو سرحونى بدلا منه ! مصيبة !

انشغلت زوجتى ^١حوالى تساعتين فى المطبخ كنت أثناءها جالسا على سرىرى فى غرفتى . مكان جلوسى المفضل . فبين هذا وى وأشرف على أطفالى القابعين ضمن جدران هذه الشقة الضيقة .

تناولنا العشاء هذا المساء مبكرا على غير العادة . طلبت زوجتى من جارتها أن تمد أطفالنا للنوم وشربت كرتدى ثيابها . قالت بصوت حازم لا يدع مجالا للاعتراض :

— تعال نذهب فى زيارة الى منزل «رام» .

— لكن هل تعلمين أن الساعة التاسعة والنصف الآن ؟

— وماذا فى ذلك ؟ يجب أن نزوره ! ظروفه قاسية الآن للغاية .

قلت ، وأنا أرتدى سترتى وأسعد للخرج :

— لكننا لا نستطيع مساعدته فى شئ . <http://Archive.org>

هبطنا السلم بسرعة وسرنا فى شارع خلفى مزدحم بالناس . لبثنا صامتين بعض الوقت . فجأة قطعت هى جبل الصمت :

— أعتقد أن «رام» فى حالة صعبة للغاية . لا أدري كيف سيتخلص منها .

لم أجب . يختلف الناس فى الاعراب عن مشاعرهم تجاه من فى مصيبة . بعضهم يتكلم كثيرا ، آخرون يطرقون مفكرين . لكن قليلون عموما هم اللامبالون .

وعادت الى الحديث ثانية :

— مسكين ، ماذا سيفعل الآن ؟

أخيرا قطعت صمتى :

— سيبحث عن عمل آخر .

- وما العمل إذا كان الحصول عليه غير يسير ؟
- أمامه سينزل ولجده وهو أن يبحث ويبحث إلى أن يجد عملاً مناسباً .
- الكلام سهل . لكنه يعيل زوجة وطفلاً يجب أن تساعداهم .
- لا تعرف . اعتقد أنهم سيتديرون أمرهم بطريقة ما .
- لست واثقة من ذلك ، (سكنت بوحدة ثم أضافيت بنبرة عاترة) : أخطرت ببالي فكرة الآن ...

- وما هي ؟

- الحياة شبيهة بالشیطان الذي يلتهم كل شيء .
- جعلتني مقارنتها المفاجئة هذه ابتسم .
- حقا هي كالشیطان الذي يلتهم الناس .
- ولا يمكن التحرر من هذا الشيطان الا بالمال ؛ فإذا كان غير متوفر لديك صفى حسابه معك بسرعة .
- وصلنا إلى البيت الذي يسكن فيه «رام» . اعترتني رجفة وأنا أقف أمام العتبة :
- هل تعرفين بما أفكر ؟ «رام» انسان مقتصد ويمكن أن يكون قد احتفظ بقدر من النقود ليومه الاسود .
- وهل المبلغ كبير ؟
- حوالى مئتين .

- مئتان فقط ! يا له من مبلغ زهيد وماذا بعد ذلك ؟

كان الباب موصدا . فتحتة لنا «نرمالا» زوجة «رام» . «رام» كعادته جالس على سريره . بدا واضحا أن مزاج كليهما على غير ما يرام فيما مضى كان جو الترتيب والنظام غالبا في هذا البيت ، أما الآن فالاشياء مبعثرة بشكل فوضوى فى كل زوايا البيت .

جلسنا مخرجين لم نعرف ما نقول . بعد فترة صمت غير قصيرة بدأت الحديث :

ماذا تشنوي - إنه متفعل بماذا

سحب «رام» رجله نحو بطنه ، جلس بشكل مريح ثم أجاب :

« لا أعرف ، يجب أن أفكر عن عمل آخر .

— لكنك لن تستطيع العثور على عمل بهذه السرعة .

وأدخل الخنثيت إلى طريق مسدود . تبادل «رام» وزوجته النظرات

القاترة . أما أندسلم أحول عيني عن أوعية الطعام المعدنية النظيفة المصنوعة

بناية على الزوفور . رأيت في لمعانها ، لو قل أحسست بشيء من الغربة .

فأنا من يعلم كيف اشترت «نرمالا» كل ذلك بلهفة وحب . وإذا كان لديها

من هواية ما طريقة فهي ألواح يجمع أواني المطبخ الجميلة .

إطرق لحظه ثم قلت :

— لدى اقتراح .

أجابت «نرمالا» على الفور :

— وما هو ؟

يجب برأبي أن تتروكوا هذه الشقة بأسلح وقت أو تنتقلون للعيش مع

الأهل . يمكن بهذا الشكل التخلص من عبء أجرة البيت .

تحرك «رام» أنزل رجله عن السرير :

— اقتراح غير مناسب . والد «نرمالا» لا يعمل ، ظروف أختها صعبة ،

وليس لديهم عمل ثابت . لذا أخاف أن يصبح الحمل ثقيلًا .

— لكن يجب عليهم في نهاية الامر أن يقدروا وضعكم الحالي . يمكن لاي

منا غدا أن يلاقى المصير نفسه . فإذا فعلتم ذلك وانتقلتم سيكون بوسع

«رام» أن يخصص جل وقته للبحث عن عمل . أرى أن هذا هو المخرج

الوحيد .

تحسنت زوجتي للفكرة :

— فعلا — فعلا . أما «رام» فيمكن أن يعيش عندنا إلى أن يستلم عملا

جديدا .

نظرت الى «رام» فقرأت فى عينيه مريجا من القلق والغضب والضياع .
 من جديد حل صمت غير مريح .
 - أرى أنه لا يجوز تأجيل الموضوع . ابدؤوا منذ غد بجميع اغراضكم ونحن
 سنساعدكم .

مضى قرابة شهرين من الزمن . أرسل «رام» زوجته وأطفاله مع اغراض
 منزله الى بيت عمه انتظرنا قدومه الينا من يوم لآخر . وذلت يوم بعد عودتى
 الى البيت من العمل مساء رأيتُه متمددا على سريره وبالقرب منه حقيبة سفر
 شدت اليها طراحة .

أثناء تناول الشاي حاولت الترويح عن نفسه ، حكيت له بعض القصص
 المسلية والاختبار الطريفة . لكن بات كل محاولاتي بالفشل . لم يعد «رام»
 ذلك الشخص الاجتماعى المرح المحب للنكتة . جلس واجبا غير قيادر على
 تجاوز حالة الحرج والشعور بالغربة .

بعد العشاء رنبت له السرير ، فناء على رغبة زوجتى ، كى ينام وحده فى
 الغرفة ، أما نحن فتدبرنا أمرنا فى المطبخ . النوم هنا غير مريح طبعاً .
 لكن ما العمل ؟ فنحن أنفسنا دعوانا الى بيتنا للاقامة معنا .

قلت لزوجتى :

- ألا تلاحظين معى أن «رام» تغير جدا .. صار كثير الصمت ؟

- هذا أمر طبيعى . أعتقد انه يفكر طوال الوقت بأسرته .

لكن لم يمض بعد على الفراق يوم واحد .

- يبدو لى أنه محرج . يشق عليه أن يثقل علينا .

- الوضع مختلف .. فى المرات السابقة كان ذلك بارادته ، أما الآن فأتى
 الينا مضطراً .

مع صباح اليوم التالى بدأ «رام» رحلة البحث عن عمل . صار يواضب على
 نظام يومى محدد ، ينهض باكراً ، يغتسل بعناية ، يخلق وجهه ، يشرب
 الشاي صامتاً ، يقرأ صحف الصباح باهتمام ، ثم يغادر . يعود الى البيت

ظهرت عندئذ تكونت علة من السجدة ، يتناول الغذاء ويفادر ثانية . في المساء
نجتمع ويقص علي بالتفصيل ما جرى معه : من قابل وعلى من تعرف وكيف
عرض نفسه على ادارة صحيفة « التايمز » للعمل كضارب على الآلة الكاتبة .
حاولت في كل ليلة بعد عزمته . لكن من زمن طويل دون أن يتمكن «رام»
من الحصول على عمل جديد . صار مجال حديثنا يتقلص مع مرور الوقت .
ومازال يشغل هو السرير في الغرفة وبقيت مع زوجتي ، كما في السابق ،
تبنت في المطبخ الصغير .

كان «رام» يجلس ساعات طويلة على السرير طاويا رجليه تحته يقلب
بفتور ووجوم الصحف القديمة . غدا يثيرنا ويقلقنا أكثر فأكثر صمته
وكأبته .

ذات مساء قلت لزوجتي :

– لا أفهم لماذا لا يقدر على إيجاد عمل مناسب .

ردت زوجتي بعنف طاهر :

– وكيف يمكنه ذلك وهو لا يكاد يفادر البيت !

– ماذا نقولين ؟

– يخرج صباحا ، لكنه لا يكاد يمضي حتى يعود . وبعد الغذاء يدخن
وينام .

لمست في نبرة صوتها ضيقا وغضبا . أحسست فجأة بالشفقة والأسى ازاءه .

– مسكين ، وماذا يفعل غير ذلك ؟ لا عمل له في أى مكان . الى أين
يذهب ؟

– لا تحاول خلق الأعذار له . لا يجوز لانسان – ما دام انسانا فعلا –
أن يسقط على هذا النحو .

– هو إنسان طبعيا ، ويجب أن يعيش ويأكل مثلنا ومثل كل الناس .

– لكنه يأكل أكثر منا بكثير .

لن نخوض في هذا الحديث • تعرفين أن البطالة تضاعف شهية الانسان للطعام •

أخذت زوجتي تعارضيني ، لكنني مللت هذا الحديث • تركت المطبخ ودخلت الغرفة • كان «رام» جالسا كعادته يقلب الجرائد القديمة • بدأت الحديث • حاولت اثارة حميته ، لكنه ظل صامتا • أثار صمته حفيظتي • تبددت منذ زمن مشاعر التعاطف والشفقة التي حدثت بي الى دعوته لمقاسمتنا السكن • غدا واضحا أنه لن يعثر على عمل • فهمنا ذلك جيدا كما فهمه هو نفسه •

بقيت وزوجتي نأوى الى المطبخ • نتسامر أحيانا ونتخاصم أحيانا أخرى • أما «رام» فلبث في الغرفة معظم الوقت جالسا طاويا رجله تحتة • لم تبد عليه علامات الحيوية الا أثناء الطعام وشرب الشاي • كان يأكل كثيرا • يتلمظ ويلحس أصابع يديه بشكل مقرف • لم لاحظ سابقا أن لديه مثل هذه الحالات السيئة •

صرنا أكثر فاكثر تضايق من وجوده معنا. غدا محور كل أحاديث زوجتي. عندما يأكل تتابع حركاته وتلاحظ مقدار ما يبلطه من الطعام • لم تعد تقدم له كوبا آخر من الشاي ولا تدعوه الى المطبخ الا بعد الحاح مني • وراحت كلما مر من أمامها تصعر وجهها في اثره معبرة في كل حين عن اذرائها له •

تعبنا من العيش في هذا الجو من التوتر الدائم ، أحسبنا أنفسنا غرباء في بيتنا فافتقدنا أبسط لحظات الهدوء والسرور • ومع ذلك لم يكن ممكنا فعل شيء •

ذات نهار وكان يوم أحد دعوت زملائي في العمل الى طعام الغذاء • حاولوا ما وسعهم اشراكه في الحديث ، فلم يفلحوا • بعد تناول الغذاء معنا في المطبخ أسرع الى متكئته على السرير • عرض عليه أحدهم الخروج معنا الى الشارع فرفض أيضا • لكننا لم نلج عليه اذ كنا مسرورين في أعماق نفوسنا لعدم مشاركته لنا في النزعة • قبل خروجنا سألت زوجتي عن مكان مفضل لشرب فيه الشاي ، فأجابتنى على الفور :

- في أي مكان عدا البيت •

– «رام» ؟

– ليس مهما أن يشرب الشاي ، ولستنا ملزمين بتقديمه له كل يوم ...

– كفى ، كفى ! فهمت قصدك ...

دخلت باتجاه الغرفة لتناول سترتي من الخزانة . لحقت بي . وقفت امام المرأة وراحت تسوى تسريحة شعرها . خاطبتني بصوت عال :

– أكلنا كثيرا يا عزيزي ، وأنا شخصا غير قادرة على تناول العشاء اليوم . ما رأيك أنت ؟

لا تذكريني بالطعام . أنا شعبان لدرجة الغثيان .

عندها سألت «رام» :

– وما رأيك أنت يا «رام» ؟

– أنا ؟ أنا غير متحمس للعشاء أيضا .

– رائع إذن ! بالسعادة في اليوم . هذه هي المرة الاولى منذ زمن طويل لا يقلقني التفكير بتحضير الطعام .

تناولنا الشاي في بستان صغير مجاور . ورغم جو الحرية والبساطة والهدوء الذي كان مسيطرا حولنا لبثنا شبه صامتين . كان كل واحد منا غارقا بأفكاره الخاصة . تذكر أحدها – لم أعد أدري من – «رام» . وكان مجرد ذكر اسمه سببا لتعكير مزاجنا . عدنا الى البيت بعد الساعة التاسعة .

كان الباب موصدا من الداخل . قرعته طويلا ، فلم يفتح لنا أحد . كانت زوجتي مرهقة جدا ، اذ اضطرت لحمل الاطفال في طريق العودة .

صاحت بأعلى صوتها غاضبة :

– رام ! رام ! رام !

– قد يكون نائما !

– ومن ينام في مثل هذا الوقت ؟

سمعنا وقع خطوات في الداخل ، ثم تحرك مقبض الباب .

• صرخت في وجهه دون أن أخفي غضبي وغيتي :

– ولماذا لم تفتح الباب فوراً ؟

تمتم «رام» بكلمات غير مفهومة وبدل حجراً لصفاء إلى ركنه على السرير .
خلعت سترتي وجلست بجانبه • أما زوجتي وأطفالي فاتجهوا مباشرة إلى المطبخ :

سألته :

– هل ذهبت إلى مكان ما ؟

– كلا

انعقد لساني من شدة الغيظ • نهضت فجأة وذهبت إلى المطبخ •
وجدت زوجتي تنظف الموقد من بقايا الحليب • مسكتني من يدي ،
قادتني إلى المظلة وأشارت بيدها ، وهي تتميز غضبا ، إلى بقايا الشاي
المفلّ •
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– هل شرب الشاي أثناء غيابنا ؟

– طبعاً • ألا ترى بنفسك ؟ (ثم وهي تتناول علبة البسكويت الفارغة)
فانظر •• التهم كل ما كان فيها •

– ياله من شيطان ! شيطان فعلا ! وصل حتى إلى بسكويت الاطفال • لكن
لم فعل ذلك ؟ كان بإمكانه – لو أراد الطعام – أن يقول لي !
– ولم الدهشة ؟ المسألة وما فيها أنه أراد شرب الشاي بعد الغداء ،
فسعى وشرب •

قامت الزوجة تبحث عن علبة الكبريت لتسخين الحليب •

– هل رأيت علبة الكبريت ؟

– لا فتشني عنها بنفسك !

«أنا وحق! إنه أربع حتى تهرب؟ أضاعها دوماً في مكان محدد» (ورفعت
نبرة صوتها كي يلاحظها من في الغرفة): «من أخذ علبة الكبريت؟

– مابك تصيحين! تناول علبة أخرى

– أريد أن أعرف من أخذ هذه العلبة ذاتها! يبدو أن في بيتنا لصاً

خشيت أن يسمعها رام فصرخته بها:

– كفاك ثرثرة!

في تلك الليلة لم يغمض الزوجتي عين: لكزتنى بينما كنت على وشك أن
أغفو. سألتهما خائفاً: – ماذا حدث؟

أشارت إلى خط النور البارز من خصائص باب المطبخ وهمست في أذني:
انظر... حاول أن تعرف فقط ماذا يفعل هناك.

كانت الغرفة مضاعفة: عتبت «رام» بجيب سترتي أولاً. سحب من أحدها
حافطة النقود، المندبل، حاملة البنتال التي استخدمها أثناء الركوب على
الدراجة، نظر إلى هذه الأشياء ملياً ثم أعادها إلى مكانها. تناول من الجيب
الآخر علبة سجائر، تشمها بتلذذ وأخذ لنفسه بضع سجائر وأعاد العلبة
إلى مكانها. أخيراً أطفأ النور، جلس في السرير وبدأ يدخن.

– هو الذي سرق الكبريت، أخذ سجائرك. لا أفهم كيف يمكن لإنسان
أن يتصرف على هذا النحو من قلة الوجدان!!

– اهبطي. ببساطة لم يقدر على النوم، ها هو جالس يدخن. يجب أن
تفهمه جيداً.

– أنا أفهمه جيداً. خامل، كسول، لا فائدة ترجى منه. هذا هو
باختصار!

– مع ذلك حاول أن تفهمي وضعه. ضعي نفسك مكانه.

لزمتم الصمت. اختفى لبضع ثوان التمايع السيجارة المشتعلة، ثم بدا من
جديد. «هل يعني ذلك أن رام التصق بالباب يسترق السمع؟» طلبت من
زوجتي أن تخفض صوتها قدر المستطاع كي لا يسمع حديثنا. لكنها لم تقدر
على ذلك. لا بل تمننت لو يسمعها.

تتظاهر بالطيبة ! طبعاً وماذا يهمك ؟ أنت فى العمل من الصباح الى المساء المصيبة أساساً من نصيبى . تعبته من إلهامه به هذا المطفال . لم أعد أحتمل أكثر .

– عزيزتى ! تذكرى أننا ذهبنا اليه ودعوانه بأنفسنا ضيفاً علينا وساعدناه على تأمين زوجته فى منزل أهلها .

– طبعاً ساعدناه . أنت قلت : انك كمن يلف الشيطان فى غطاء وطراحة – نعم ؟

– لكننا أرسلنا آنذاك الاثاث فقط . أما الشيطان فعاد واحتل سريرنا . – أرجوك اتركيه وشأنه . فما أن يجد الشيطان عملاً حتى يتقلب الى كائن انسانى جيد . يصبح كسائر الناس . – معقول . لكنى أخشى الانتظار دهرًا .

كانت مستعدة للاستمرار فى حديثها على هذا المنوال طويلاً لولا أننى أرغمتها أخيراً على التزام الصمت . بقينا طويلاً بعد ذلك نتقلب فى الفراش . لم ينم «رام» كذلك . سمعنا وقع خطواته . ووصلت إلينا روائح دخان التبغ .

أخيراً غفوت . رأيت فى حلمى شيطاناً بقم واسع . أطعمه أنا وزوجتى الخبز والرز ونسقيه الشاي ولا نستطيع اشباعه أو إرواء ظمئه . عندما أفقت انتابنى إحساس عميق بالخجل . أسرعت الى الغرفة فوجدتها خالية من الانس غادر «رام» حاملاً أمتعته . كنت قبل ذلك متمنيا ذهابه ، لكنى الآن أحسست بضيق من الاعماق . ناديت زوجتى فأجابتنى فوراً .

– نعم ! ماذا حصل ؟

– لا شيء مهم . (وأضفت بصوت متحشرج) : ذهب الشيطان ليعود انساناً من جديد .

– معقول ؟

وقالت كلاماً آخر لم أميزه . جلست على السرير فى مكان «رام» ورحت أتابع حركات وسكنات زوجتى وأطفالى . فقد كان ذلك عادة أصيلة لدى .

تعريب : شوكت يوسف

يوسف عبد الصافي

سبالة الرهدانة

انتابني شعور غريب لم أنتبه إليه قبل الآن . ربما أكون قد أحسست به ونجاهلته كما أنه من المحتمل أن لا أكون قد تغطنت إليه الا بعد أن وجدت المقهى مغلقا . لا بد أن يكون وراء ذلك أمر خطير ، إنني لا أدري بالتحديد ما الذي وقع . لكنني متأكد أنه أمر خطير .

المقهى مغلق ؟

هذا ما لم أعلمه في بلدتنا عين التفاحة أبدا ، المقهى هو المكان الوحيد الذي لم أراه مغلقا ، ربما لأنه الذي يلتقي فيه الجميع بموعد أو دونه . كما أنه من الممكن أنني لم أراه مغلقا لأنني أمضي به كامل وقتي ولا أذكر يوما احترت في قتل وقتي . المقهى هو المكان الذي يمنحني فرصة اللقاء مع عيون بلدتنا عين التفاحة . فمن أخبار الزواج إلى أحوال المطلقين إلى ما فعلت زوجة فلان إلى ... معرفة كل ما يجري في البلدة .

احترت في اختيار المكان الذي أمضي به يومي ، نظرت إلى الساحة التي كنت أراها تعج بالجالسين فلم أر أحدا . لا بد أن يكون وراء ذلك سر خطير .

المقهى مغلق ؟

حاولت تذكر ما سمعته أمس علي أجد فيه ما يشبع فضولي . لقد كان الجميع - وكعهدي بهم دائما - يتذمرون من سالة الرهدانة . لقد اعتدنا هذه الحال . أصبح المجلس الذي لا تذكر فيه سالة الرهدانة لم يلتئم بعد . نحن لا نسأل عن كيفية ذكرها ، لأنه لا يمكن أن تذكر غير مساوئها . بل إننا لا نعرف لها خصلة حميدة واحدة عدا انتمائها لبلدتنا عين التفاحة .

سائلة الرهدانة هي مالكة جميع املاك البلدة . سائلة الرهدانة هي مالكة البلدة . إنها امرأة مسنة جدا وتكاد تقع على الارض كلما حاولت المشي . لكنها دائما تصر على عكس ذلك . إنها على أبواب أن تصبح جدة بلدتنا . وربما هي كذلك لكنها تريد أن تمتد في الشارع وأن تشتت على أحد . كما تحاول أن تؤكد صفر سننها لكل من يحكي معها .

... أتدري أن فلانا يكبرني بسنوات كثيرة ، وفلانا الذي ما زال يحرق الارض بساعديه ... إنه يكبرني .. آه .. نعم . لكن لأنهم رجال لا يظهر عليهم الكبر . كما أن اهتمامي بجميع أمور البلدة هو الذي جعلني أظهر بهذه الصورة . لقد تعبت . المسؤولية عبء كبير . جميع أبناء البلدة مدينون لي . كل منازلهم مؤجرة عندي ، ومع ذلك لم يرد أى منهم ولو قسما . مما استأجر . ولأنهم رجال وأنا امرأة فأننى أخجل من مطالبتهم بما فى ذمتهم . لولا ذلك الشعور لطردتهم جميعا من العمل بعد أن حضروا أمام منزلي وطلبوا منى الترفيع فى الاجور ، يظنون أنفسهم ذوي حق عندي ، وأنت أيضا منهم يا مداعن . جميعكم مدينون لى . ثم فكل ما ينتج تقسيمه بالتساوى . النصف للمصنع والربع لى والربع الباقي لجميع العمال .. الجميع .. تصور انى أخذ نفس القسط الذى تأخذونه .. تصور ..

سائلة الرهدانة تتحدث عن احترامها للرجال أو لرجولتهم ومع ذلك فهي لا تعبر اهتماما لاحد . تتهمك من الجميع . تلعن كل من يخالف إرادتها . ترفته من الحياة ثم تصفع عنه متى بدا لها ذلك . ومن غيرها يقوم بذلك وهي مالكة كل البلدة .

سائلة الرهدانة امرأة فقيرة مثلنا مع ما تملكه من مال متعتها تكمن فى ازدياد وارداتها ورغم كل ذلك فهي ما زالت تعيش فى نفس مستوانا الاجتماعى حتى يساعدها ذلك على ارتفاع قيمة مدخراتها . وربما هي لذلك السبب أيضا لم تتزوج بعد موت زوجها فى الحرب رغم أن كثيرين تقدموا لحظيتها . فقد مات زوجها وهي لم تتعد الثلاثين من عمرها ولم تكن قد أنجبت . لكنها رفضت كل من تقدم لها حتى مل الجميع وكبرت هي لكنهم وجدوها فجأة مالكة البلدة .

ومن الحروب كانت حينئذ النفقة مطلقة فلا حيلة . وصادف أن اجتمعت البلدة موجة من الجفاف . فاعتم الجميع لذلك حلتهم لم يهتدوا . بل في قبايع الكثير منهم اغنامهم بأرخص الاثمان ولم يكن أحد في البلدة يملك مالا غير سائمة الرهانة . فقد تحضنت على مبلغ كبير كتعويض لحوت زوجها في الحرب فلم تترك الفرصة لتقوتها . وأصبحت تشغل الكثير في غزل الصوف . ثم تتكفل هي ببيعها . ولم تفتت سنوات الجفاف حتى ارتبطت مصالح أغلب الناس بها .

أصبحت بعد ذلك تقرض كل من دخلت بها مصالحها بها لتعينه فقط مقابل ضمان . ولم يكن لابناء بلدتنا غير عقود أراضيم يرهونها . لكن لا أحد استطاع استرداد عقده فصاروا سائمة الرهانة مالكة لكل البلدة . لقد كانت تظهر من المرونة والطيبة الشيء الكثير عند كتابة عقد القرض لكنها سرعان ما تمارس كل الضغوطات بعد امتلاكها . وبما أن أبناء بلدتنا لم يكونوا على ذراية بهذه الامور فقد انساقوا جميعا في تلك اللعبة .

لسنا ندرى من أين تعلمت سائمة الرهانة كل ذلك الدهاء . البعض يرد ذلك الى معاشتها للجنود اصدقاء زوجها . والبعض الآخر يقول : لقد عرفت ذلك عن طريق الصدقة . لكننا اتفقنا جميعا على تلقيها بالرهنانة لما تظهره من طيبة في البداية ومكر ودهاء بعد ذلك . ونسي الجميع لقبها الاول وصاروا لا يعرفون الا سائمة الرهانة .

بعد سنوات قليلة صار كل أبناء بلدتنا (عين النفقة) أجراء لديها في مصنع الغزل والنسيج الذي أنشئ دون أن نتفطن . فقد وجدنا بناية ضخمة تقام على أرض رهنها أهلها ولم يستطيعوا الوفاء بعهدهم . ولم نعلم أنها مصنع إلا يوم دخلناها أول مرة فوجدنا بها آلات ضخمة تقوم بغزل الصوف وأخرى لنسج القماش .

كان سالم الطويل صاحب الأرض الأصلي معنا . لذلك شعرنا بضيقه وغيظه أكثر . لكن سرعان ما لاحظت سائمة الرهانة ذلك فقالت :

إنني لا أملك معكم شيئا ، ولتعلموا أن هذا المصنع هو لكم . فهو الذي ستطعمون منه عائلاتكم لكن لا بد أن يكون للمعامل رئيس وقد اخترت سالم الطويل لذلك ، نظرا لانه يحس بهذه الأرض أكثر منكم وتهمه مصلحتها ربما أكثر مني ...

عندها رأينا بهالم الطويل . صاحب الأرض الاصل ينهب عنه بعض من غيلة . ثم أصبح بعد ذلك رئيسا صارما مع الغيلة .

لم نجد صعوبة كبيرة فى تشغيل الآلات لأنها تشبه كثيرا الأدوات التقليدية . وصارت البلدة منطقة صناعية بعد أن كانت فلاحية . والمهم فى ذلك أننا بعد أن كنا ناكل بثمن ما تعبنا صيرنا نحصل على جارية معلومة نعيش منها . والمترفه فينا من يعرف كيف يقسم جاريته بأحكام حتى لا يحتاج إلى اقتناء بعض المال من سالة الرهدانة كي يؤمن عيشه بقية أيام الشهر .

سالة الرهدانة صارت الشر الذى لا بد منه فى بلدتنا (عين التفاحة) إنها التى تعدل مقدار عيشنا . فإذا لاحظت أن بعضا منا انقص من قوت يومه ليدخر بعض المال . أنشأت مقهى ، أو أوجلت لعبا جديدة للأطفال ، أو ملابس للنساء . أو أنواعا حديثة من التبغ . المهم عندهما أن لا يدخر أى واحد من أبناء البلدة حتى تبقى وحدها المالكه لكل ما فى البلدة .

وجدنا فى الغناء وشتمها فى المقهى خير متفلس لغضبنا . وكعهدنا دائما أنشأنا أهزوجة شعبية للتعبير عن غضبنا . فقد صرنا نخافها . ونعرف أنها الكابوس الذى يجب التخلص منه . ولكننا نخافها . ربما تكون قد تפטنت إلى درجة حقدنا عليها فخافت انفجارنا لذلك فتحت مقهى بالبلدة .

سالة الرهدانة لا يعنىها ما نقول . كل ما تفكر فيه هو أن تجعل غضبنا ينفجر ، حتى لا نخسر ما تعبنا من أجله سنوات فربما نخسر فى لحظة كل ما ادخرته . ولسنا ندري ما الذى ستفعله بعد ذلك بالاموال . فى كل سنة تزداد قيمة مدخراتها وكأنها ستحملها معها يوم تموت . بل الاكيد أنها لم تفكر فى الموت أبدا ولا هى تقرأ له حسابا .

سالة الرهدانة لا يعنىها ما يقع لنا لكن لا بد أن تكون لها علاقة بما وقع الآن . فغلق المقهى يعنى يوما دون إفراغ لما فى داخلنا من غضب . وهذا يعنى بالنسبة إليها تهديدا بفقدان مدخراتها . لذلك لا بد أن يكون وراء الأمر سر خطير يجب علي معرفته .

تذكرت أنه لم يعترضني أحد فى طريقي ، فهل يعقل أن يبقى الجميع نائمين حتى الآن ؟ حتى وإن كان ذلك فلا بد أن يكون وراء الأمر سر خطير .

كلت قدمائى التطواف فى شوارع بلدة تلة (عين التفاحة) ففكرت فى الجلوس للاستراحة . لكن أين سأجلس والمقهى مغلقة ؟

توقفت عن السير لأفكر فوجدتني قريباً من ضريح الولي الصالح « سيدى علي المنيان » الذى قهر وصعد جميع من حاول إيذاء (عين التفاحة) ثم عجز عن تخليصنا من سالة الرهدانة

جالست فى زاوية سيدى علي المنيان وأنا أفكر فى ما يمكن أن يكون قد وقع فتذكرت أنني حين وصلت مساء أمس الى المقهى انفض الجمع الذى كان يتجاور فى ركن حفى داخل المقهى . أحسست بخجل كبير لظني أنهم انفضوا حتى لا أعرف ما كانوا يتحدثون فيه ، إلا أنني سرعان ما تفتنت أن وصولي تزامن مع وصول سالة الرهدانة وهى الوحيدة فى بلدتنا (عين التفاحة) التى لم تكن تظلمها عما نسرّه .

رغم أنه لا مجال للنساء فى مقهى بلدتنا (عين التفاحة) فقد كانت سالة الرهدانة المرأة الوحيدة التى تدخل لتجلس فيه ولكن لقضاء شؤونها فيه من حسابات وشراءات و ..

فرغم تحول بلدتنا (عين التفاحة) من منطقة فلاحية إلى منطقة صناعية . لم تتغير طباعنا وبقينا أولئك الذين لا مجال للمرأة معهم فى المقهى . بل إنه لا توجد فى بلدتنا امرأة تفكر فى الجلوس فى المقهى لاعتبارها أن ذلك من حق الرجال .

كانت سالة الرهدانة تشعر بحرج كبير عند دخولها المقهى . لكن مع مرور الأيام نقصت حدة حرجها دون أن يذهب كلياً . لذلك كانت لا تطيل البقاء أبداً فى المقهى مهما كان السبب فرغم كل ما تملك تبقى دائماً امرأة من (عين التفاحة) ..

لاحظت سالة الرهدانة أن الوضع لم يكن طبيعياً فسارعت بالانصراف . عندها انتماء الجمع من جديد دون أن الحق بهم . الآن فقط ندمت على ذلك . لا بد أنهم اتفقوا على تنفيذ ما وقع فى البلدة اليوم . كنت أظن أنهم اجتمعوا للثروة فضلت البقاء وحدي . كنت أفكر فى كيفية دفع ما فى ذمتي من دين .

فقد تأخرت طابحة للرهانة في دفع الجير قبل البدء وقوع الحادث المأساوي. لا الهمة لقد قطعت يد سالم الطويل بغير خجل. وعلم ذلك الذين تدخلوا على شعورنا معها. لقد أصبح سالم الطويل عدوا لها. صحيح أنها لم تكن السبب الاصل في الحادث لكن سالم الطويل لم يقبل ذلك بل كان دائما يقول:

«سأله الرهانة هي السبب في قطع يدي أنا الطويل والآخرين جميعا» إنها لا تفكر إلا في ازدياد أرباحها. لقد نهبت منا كل حقوقنا وممتلكاتنا. أو نقطع عن العمل معها مدة قصيرة فقط. تحصلت على كثير من الاميازات. إننا اصحاب حق وليسنا أجراء فقط. ولو امتد صمتكم فنتكون النتيجة هذه (ويرفع يده المقطوعة الى اعلى) «. صرنا تفكر بطريقة مغايرة لما أعدناه دون أن نتأثر به كليا. فقد كان صارما جدا معنا نحن الكملة وهذا ما جعل الكثير منا يكرهونه لكن سرعان ما ينسى الجميع تلك الكراهية برد سبب الصرامة الى صعوبة المسؤولية. المهم أنه انتابنا شعور كبير من الخوف».

نظرت الى الجمع الذي كان ملتثما في ركن خفي داخل المقهى قرأت سالم الطويل يتوسطهم. فكرت في الانضمام اليهم لكنني خجلت. فعمار المقدود نادل المقهى له عتدى حساب لم استطع دفعه بسبب تأخر سائلة الرهانة في الدفع الينا. بقيت مكاني حتى سألني عمار المقدود:

— هل أنت معنا أم ضدنا ؟

— عشرة أكواب من القهوة وكوبان من الشاي بما في ذلك الذي ساشربه الآن وغدا أقدم لك ثمنها جميعا .

— تنوى الخروج نهائيا من ...

— عشرة أكواب من القهوة وكوبان من الشاي ...

—

— عشرة وكوبان

—

تذكرت الآن أنه تركني وانصرف. نظر إلي وكأنه يقول لي : صرت معتوفا. اقلقتني ، نظرت له إلى بالأمس لما كان فيها من شفقة أما الآن فأنني أعذره عنها.

لو كنيت مكانه ليطرت مثله عا لكفني الآن إمام ضريح سيدي علي المليون
ولست أدري أين يكون نلقه ذهبيت بغلبه لموالنا إلى ضريح سيدي علي المليون
سلطان البلاد . ففي ليلة الجمعة تشعري للتصريح لنضيفه بل تجدنا جميعا
ننسابق على ذلك حتى وإن كنا في الإقليم الأخيرة من الشهر وذلك طمعا في
اللقاح من بن كاهن الكرك . كان فقمنا في ذلك ليكبر ثراء مسألة الرهانة رغم أننا لم
نرها يوما واحدا . تزود سيدي علي المليون فقيدي كانت تكفي بتكليف من يذبح
عددا من الحرفان يوم العاشوراء والتصدق بها على جميع أبناء بلدنا (عين
التفاحة)

ما الذي وقع في بلدتنا (عين التفاحة) ؟

رغم كل ما كانت تفعله بتأ سألة الرهانة وكل ما كانت تشعروا به من
مذلة فإننا لم نتأخر يوما عن اللقاء حتى نشعر بالأطمئنان . فلقاؤنا مع بعض
حتى وإن كان الحديث حول مسائل تافهة يشعروا بأننا في (عين التفاحة) أو
أن (عين التفاحة) ما زالت موجودة .

يطيب اللقاء دائما في المقهى حيث يستقبلنا عمار المقدود بترحيب مبالغ
فيه . يجد متعة في ذلك مع العلم أننا في أغلب الأحيان لا ندفع ثمن ما
شربنا . وكثيرا ما نخصم له مسألة الرهانة بعضا من أموال مرتبه كتعويض
لأن لم يدفع ويبقى ترحيبه لذلك مبالغا فيه . لكنه ينسى كل ذلك ولا يفكر إلا
في الضحك وعيبه يكم في صراحته المفرطة . يعيد ما رأى دون حساب إلى أنه
قد يكون يسيء إلى طرف برىء دون قصد منه لكنه هكذا على طبيعته ولم يحاول
أحد ملاحظته على ذلك رغم تخرج البعض من صراحته .

تذكرت أن المكان الذي يجب علي الذهاب إليه لمعرفة ما وقع ليس ضريح
سيدي علي المليون وانتظار بركاته بل منزل مسألة الرهانة . لا بد أن تكون
على علم بما وقع . إنها الوحيدة التي قد تعينني على فهم ما يجري في بلدنا
(عين التفاحة) .

أن تفرغ البلدة من كل المتساكنين أمر لم اتعوده من قبل . لا بد أن يكون
وراء ذلك أمر خطير . فحتى حين وصل الغريب إلى بلدتنا (عين التفاحة) هرع
الجميع لمعرفة ، لكن لم تفرغ الشوارع من المارة فقد آلفنا العيش وحدنا . لم

— حيا أدخل فلانا لا أستطيع الوقوف أكثر .

كانت نبرتها تدل على شدة غضبها لذلك دخلت دون أن أنيس بكلمة .
 ران صمت ثقيل بعد أن جلست سالمة الرعدة على كرسي قبالي ثم قالت :

— لهذا هو جزاء عذابي الذي رأيته من أجل أن تعيشوا في هذه السعادة
 التي أنتم فيها الآن ! فانا ليس لي ولد ولا بنت . كل أملاكي ستعود إليكم في
 يوم ما ، لكنني خدعت وهذا ما لا يريد فهمه أبناء بلدتنا . ثم تغيرت نبرتها
 تماما وقالت : لكن هل كنت معهم ؟

أعجبني نبرة سؤالها دون أن أفهم قصدها من ذلك فأجبته :

— لا ... لم أكن معهم بل كنت جالسا في ضريح سيدي علي المليان .

— نفعلنا الله ببركاته إنك حقا ابن حلال .

كانت تقول مثل هذا الكلام كلما أعلمها الواحد منا أنه كان في ضريح
 سيدي علي المليان . كانت تشجعنا كثيرا على الذهاب إليه لطلب بركاته دون
 أن نراها تزوره في يوم واحد . وقد كانت تتذرع دائما بضيق وقتها نظرا
 لكثرة مشاغلها لكن ما هي غايتها الآن ؟

لم أكن أملك جوابا لسؤالها أو ربما لم أكن أملك الشجاعة الكافية
 لمصارحتها بالحقيقة ثم ما دامت قد علمت بكرهنا لها فلا بد أنها تعرف
 سببه ، لماذا هي تسألني إذن ؟ لا بد لي أن أعرف ما وقع في بلدتنا (عين
 التفاحة) قبل تورطني في أي إجابة . لا بد أن لها غاية من وراء سؤالها ،
 فما هي ؟

بقيت أنظر إليها حتى سألتني :

— لو أنك بعد هذا الفقر الكبير صرت تملك كل أملاك البلدة ، ماذا كنت
 تفعل ؟

—

لم أستطع إجابته أيضا لأنني لم أكن أحلم أبدا بأن أكون مالكا لكل
 أملاك البلدة ، فذلك أمر لم أفكر فيه أبدا لذلك لم أستطع إجابته . إنها

تخرسنى اليوم بهذه الاسئلة الغريبة لا يلد لي هذا القويديم المتقارع اكثر . لكن ما هو سبب هذه التساؤلات ؟

: الاكيد انها كانت على علم مسبق بعدم قدرتي على اجابتها لذلك قالت لي :

- لا تحاول اجابتي بسرعة لكن فكر في حلها الاسئلة جيدا فربما تجد بعد ذلك سببا لكراهييتكم لي ورغم ذلك فقد تهديت .
لم افهم معني خداعها لكنني قلت لها :

- حاول ان تسالي نفسك أولا كيف أصبحت مالكة لكل املاك البلدة .

لست ادري من اين جاءني تلك الشجاعة لكنني رأيت الانفعال على وجه سالمة الرهانة تزداد حدته فشعرت بارتياح كبير ، يكفيني ان ما نطقت به قد زاد من غضب سالمة الرهانة وهذا يرد لي بعضا من كرامتي .

بعد ان نظرت إلى طويلا ، تنهدت مليا ورنيتها ثم قالت بنبرة كسيرة :

- لقد انتهى كل شيء الآن بعد ان خدعت . لقد عدت إلى فقري

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أذهلني ما نطقت به . فهل يعقل أن تصبح سالمة الرهانة مالكة كل املاك البلدة فقيرة مثلنا ؟

واذا أصبحت هي فقيرة مثلنا فمن الذي أصبح غنيا اذن ؟ فهل يعقل أن يكون كل أبناء البلدة فقراء دون أن يكون فيهم غني واحد ؟

اتجهت نحو خزانة كانت قريبة منا وأخرجت منها اوراقا كثيرة وهي تقول :

- سأحرقها جميعا حتى لا ينال مبتغاه ، إنه لا يعلم أن (عين التفاحة) لا يمكن أن تكون لغير أبناء (عين التفاحة) . ستعود كل الاملاك لأصحابها .

أخذت بعض الأوراق أقرأها فإذا هي عقود ملكية أبناء البلدة التي رهنها أعليها عند سالمة الرهانة ولم يستطيعوا استردادها . ما الذي وقع في

بلد تفاحة عيون التفاحة ؟ لست أعرف . معاملة الرهينة مثل هذا القرار ؟ لا بد أن يكون وراء ذلك شيء خطير .

- لكن ما هو الشيء ؟

نظرت إلي بتمعن كبير ثم قالت :

- كانك لست ابن (عين التفاحة) ، ألم تعلم بما جرى ؟

- حين خرجت إلى الشارع وجدت المقيمين قلقا ، هذا كل ما أعرفه .

بعد أن وضعت كل الأوراق في إنية كبيرة وأشعلتها قالت :

- لقد قرر أميس كل أبناء البلدة وبتحريض من سالم الطويل الاعتصام بالمعمل الاجباري على إعادة العقود إلى أهلها . فتطوع الغريب على إعانتني للخروج من هذا المأزق وطلب مني إمضاء ورقة قال انها تسويز له مني . لكن اتضح في ما بعد انها عقد بيع مني لكل أملاك البلدة للغريب . فقررت حرق العقود حتى لا أؤذي لأبناء البلدة ولا يحصل الغريب عما نوى يجب أن ينطلق كل واحد من الصفر .

<http://ArchiveBeta.Sakhril.com>

عندها شعرت بنقمة كبيرة على سائلة الرهانة فهي لا يمكن أبدا أن تكون من أبناء (عين التفاحة) . لقد أعبأها الحقد . فالجميع يعلم أن الحقد هو الشيء الوحيد الذي كان يحررها . إنها ما زالت تسعى إلى الانتقام لموت زوجها ، فهي تعتبر أن أبناء البلدة هم الذين قتلوا زوجها . لقد اتضحت الآن حقيقتها .

وجدتني أدفع سائلة الرهانة محاولا جمع ما وصلت إليه يداي من عقود لم تحرق بعد . بقيت سائلة الرهانة تنظر إلي في ذهول ، ثم اتجهت نحو المرحاض ودخلت إليه ، عندها حملت الأوراق معي وخرجت تاركها الباب مفتوحا حتى لا تتفطن إلى خروجي .

لست أذكر كيف ادخرت كل هذا الحقد طول هذه السنين . فلم تكن غايتها إذن جمع المال بقدر ما كانت تسعى إلى إذلال أبناء بلدتنا (عين التفاحة) لغاية في نفسها . لقد خدعتنا هي أيضا .

نأذكر أن أستاذنا الشيخ العلامة المقلد إلى الله مات في وجهه أثر نفوذ كثير من خصومه
واننا كنا نكرهه أيضا . لقد كان يعين المستعمر يقاتلونه ويقتله . من ذلك
كثيرا لكنه لم يعرنا اهتماما وتطوع في جيش المستعمر فقتل وهو عائد إلى
منزله من طرف أحد رجال المقاومة . لكن سائلة الرهدانة - ساروي - فقتل له
وهددت بذلك مرارا عديدة لكنها حين أصبحت مالكة لكل أملاك البلدة
انشغلت عن ذلك ، فحتى رفضها للزواج يعود إلى نعمتها .

لقد تأكدت الآن من كلام الشيخ . ساعيد العقود إلى أهلها (عين التفاحة)
لن تكون لغير أبنائها وقد اتضح أن سائلة الرهدانة أيضا غريبة عن (عين
التفاحة) أكثر حتى من الغريب . ساروي كل ما سمعته . فترغم التي لم
أشارك أبناء بلدي في ما يقومون به إلا أنني قمت بأعمال ستفرحهم .
فالأكيد أن عودة كل ملك لأهله أمر سيدخل الغبطة على كل النفوس .

عند مروري من المنزل الذي كان يسكن به الغريب رأيت أفرادا من
الشرطة يحرسونه ، فاستغربت الأمر . إنني لم ألاحظ ذلك في بلدتنا من
قبل فما الذي وقع يا ترى ؟
لم يكن المنزل يبعد كثيرا عن المصنع لذلك كان استغرابي قليلا حين
رأيت سيارة شرطة رابضة أمام المصنع . فما الذي وقع أكثر من الذي
سمعت يا ترى ؟

قبل وصولي إلى سيارة الشرطة دسست العقود في بطني تحسبا للطوارئ .
ثم دخلت المصنع . وجدت الجميع معتمسين به مثلما أعلمتني بذلك سائلة
الرهدانة . الاطفال والنساء كانوا إلى جانب الرجال .

بعد أن تطلعت في وجوه الحاضرين اتجهت نحو عمار المقدود وسألته :

- ما الذي وقع حتى يأتي رجال الشرطة ؟

- لقد طلب منهم الغريب المجيء خوفا على نفسه وأملاكه منا .

- لكنه غريب عن (عين التفاحة) .

- لقد اتضح أنه زوج سائلة الرهدانة منذ سنوات عديدة وقد قدم إلى
(عين التفاحة) بطلب منها حتى يساعدها على خنقتها أكثر .

بعد الآن فقط اتفقت ذلك ملكة لولا الخادمين قوصياتهم يد بالملك من أغبياء ..
 لكن الخلة انظرنا لاجمى بكل ذلك الحق على الغريب ؟

- إنها سائلة الرهانة الا تفهم .

لم حاول الأصراف

صنعتك من يد يدانا لا نقول له : لكننى أتيتكم ببعض العقود التى لم
 تصلها الناه .

فصلح وهو يصفق ويقول : هاها . هاها حتى تحرقها .

وأجدهنى انظر إليه باستغراب بعد أن جذب العقود من يدي ، لقد حملت
 العقود حتى أجبتها الحرق وما إنى أتى بها لكى تحرق . لم أفهم سبب ذلك
 القرار . ما معنى أن يحرق الانسان عقد ملكية . أتراه فقد الأمل فى
 مستقبل الحياة ؟ إن كان ذلك فله أن يحرق عقد ملكيته فقط . أفأقنى من
 دهشتي متاف الجماعة بعد أن أشعلوا النيران فى العقود : الشئ مع الجماعة
 خلاعة . نحن نقتل أنفسنا ثم نقول : قتلونا .

عندما رأيت أحد رجال الشرطة وقد شرع فى إخماد النار وهو يقول :
 الهدوء ، الهدوء ، ولست تهمل كل الأمور بسلام . ولم يبارحنا إلا وقد عاد كل
 واحد من الحاضرين الى مكانه الاول . ربما كان لكثرة حديثنا سبب فى هذه
 المسألة الغالبة على طبعنا . لكن الشرطي نظر إلى باستغراب قبل ذهابه .
 بقيت واقفا مدة طويلة حذو عمار المقدود وأنا لا أعرف ماذا أفعل حتى رأيت
 أحد الشيوخ يقترب مني وهو يقول :

- لو لم تكن من أبناء (عين التفاحة) لما أتيت بالعقود . فرغم أنك لا
 تملك فيهم عقدا واحدا فقد أتيت بهم الى أبناء بلدتك . هكذا يكون الوقوف
 مع سالم الطويل ضد سائلة الرهانة .

نظرت إليه وأنا أحاول معرفة سبب هذه العداوة بين سالم الطويل وسائلة
 الرهانة . لا بد أن يكون وراء ذلك سبب خفي . ربما أراد سالم الطويل
 ازواج منها فرفضته وهو لذلك يحمل ضدها كل هذا الحقد . أو ربما حاول
 منافستها فى كسب أملاك البلدة فغلبته . كل الاحتمالات واردة إلا أننى لا
 أملك تأكيدا لأى واحد فيهم . ربما يعود ذلك إلى القطيعة المفروضة علينا .

فنتحرل لا يفتح. انظر الجلسون مع المشيوخ لأن تلك المكان مظلمة قلة الحياة. فما المشيوخ لا يجلسون الا مع بعضهم حتى لا يفتقدوا الخشراخ لا جويين لهم في الخلاء كيند لكن المشيوخ دراية بسبب هذا الحقد .

بعد أن ذهب سالم الطويل سمعت أحد الشيوخ يقول لمجالسهم : إنه رجل ابن رجال فرغم قطعهم ليد يرفض الانحناء لهم . وعقب عليه آخر : صحيح فالحدث الذي من أجله قطعتم يده كان بفضل قاعل . لقد انتظروا إيقاعه في الشرك مدة طويلة . لولا الطاف الاله لكان الآن في عذارة الموتى .

لولا الذي وقع في البلدة لما تصنت إلى حديث الشيوخ. ليشي كنت على علم بما وقع في بلدتنا قبل أن أوجد . فانا لا أعرف من تاريخ بلدتنا الا ما جاد به أبي على مسامعي . لكن ليت أن شيوخ بلدتنا تواضعوا قليلا وحدوثنا عن تجاربهم .

في تلك اللحظة جذبني عمار المقدود من يدي وهو يقول :

- هل تذهب معنا ؟

- الى أين ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- الى سالة الرصدانة .

- ولماذا ؟

عندها اقترب مني ثم همس في أذني : سنحاول استدراجها للمجيء .

.....

لم استطع إجابته لكنني اتبعته . كنا أربعة وخرج كل واحد منا وحده حتى لا يجلب اهتمام رجال الشرطة . بعد أن ابتعدنا عن أنظارهم صرنا نمشي مع بعض . وعند وصولنا الى المقهى شعرت باستغراب الجميع حين راوها فارغة . لم أنبس بكلمة لكنني كنت أعام أن ذلك الامر من شأنه أن يزيد في إصرارهم على ما شرعوا في تنفيذه .

بعد أن ابتعدنا عن المقهى سألت عمار المقدود : لكن ما هو سبب تجمع كل أبناء البلدة داخل المصنع ؟

بأنهم سيجلبون لها ما تحتاجه. لقد حاول الغريب قتل سالم الطويل الذي نجى بأعجوبة ، فكان من سالم الطويل أن يطلب منا التجمع في المصنع ثم نادى رجال الشرطة .

... لكن ما زلنا نحتاج سبب هذه العداوة ؟

... كان ذلك باتفاق بين أسئلة الرعدانة والغريب وهي لذلك قدمت له كل ما تملك مقابلا لهذه الصفة .

... وما هو سبب العداوة بين سالم الطويل وسائلة الرعدانة ؟

عندما تحدث الشيخ الذي كان يرافقتنا ، لقد كان سالم الطويل من رجال المقاومة ، وكانت سائلة الرعدانة وزوجها من المساعدين لرجال المستعمر . وقد كان أحدهم زملاء بمثلهم الطويل هو قاتل زوج سائلة الرعدانة إلا أن سائلة تعتبر أن مثلهم الطويل هو السبب في قتل زوجها وهي لذلك تحقد عليه .

حين وصلنا منزل سائلة الرعدانة وجدنا الباب مفتوحا . تذكرت أنني تركته هكذا حين خرجت . لكن أعقل أن تتركه سائلة الرعدانة مفتوحا بعد أن وجدتني قد خرجت ؟ إنها تخاف رد فعل سالم الطويل بعد أن انكشفت الأعبياء . فهل يعقل أن تكون مطمئنة إلى تلك الدرجة . جلب انتباهي ذلك الأمر فتوقفت أفكر ، لا بد أن أعرف سبب كل ما وقع في البلدة .

في تلك الاثناء سمعت عمار المقدود يقول لي : هيا ادخل وسنتظرك هنا.

... لكن لماذا حرقتم المقدود ؟

لم يجبني عمار المقدود . فقد بقي ينظر إلي باستغراب حتى قال الشيخ المرافق لنا :

... إننا لم نعد في حاجة إلى ملكية بعد أن فقدنا (عين التفاحة) . ولكي نعيد بناء بلدتنا علينا أن نتعلم التضحية .

بعد فترة صمت قصيرة قال : لا تستغرب كثيرا من كلامي . فقد كنت مؤدب البلدة إن كنت لا تعلم الحقيقة .

استغربت حقا مما قال . فقد كنت أعلم أنه كان مؤدب البلدة لكنني لم أكن أنتظر منه مثل هذا الكلام ، فهل يعقل أن يكون لشيخ في سنه مثل هذا التفكير ؟

في تلك اللحظة تسبعت عمار المقبولين في اصالقة الرمدانة فلم يجهه احد .
وبعاد ثانية حول جواسيسه لم يعقل ان يلقوه في قديمهم المتألم .

وجدتني ادفع باب منزل سائلة الرمدانة وادخله في حين بقيت الجماعة في
انتظاري . شعرت باحساس لم افهمه ولا افهمه ولا افهمه . لقد رأيت سائلة الرمدانة مغلقة . انصرفت
بالفتيان . لكنني تماكنت نفسي وخرجت إلى الجماعة .

لم استطع التفوه بكلمة لكن مظهرى اثار فضولهم فدخلوا إلى المنزل . إنه
مشهد يدعو إلى الاشتزاز والفتيان . لقد رأيت سائلة الرمدانة لاقد وقع
راسها في حفرة الفضلات بالمرحاض .

لست أدري كم بقيت على تلك الحال وأنا واجم لا اتحرك لكنني انتهيت إلى
زي الشرطي بعد أن وقف أمامي فرأيت الجميع مكتظا . لقد التحق بنا جميع
من كانوا في المصنع . انتهى كل شيء اذن .

رأيت ضابط الشرطة يتقدم نحوي ثم سألني :

— هل ماتت مقتولة ؟
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

لم افهم سبب ما قاله وما كنت اعلم الجواب . فمن ادراني كيف ماتت ؟
كل ما اعرفه أنها ماتت ورأسها غاطس في حفرة فضلات المرحاض رغم كل
أملاكها .

وسمعت الشرطي يعيد السؤال :

— من قتلها ؟

كان لسؤاله هذا وقع أكبر من سابقه على نفسي . إنه يوجه اتهاماً ولا
يسأل . خطؤه أنه ليس من أبناء بلدتنا ! عين التفاحة) . لو كان كذلك لما
توجه إلي بهذا الاتهام ، فأبناء بلدتنا (عين التفاحة) لا يقتلون بعضهم .

افقت من شرودي هذا وعمار المقدود يشير إلي وهو يخاطب الشرطي
ويقول :

- إنه آخر من رأى سائلة الرهدانة بعد أن اعتصمنا بالمصنع وخين اثينا الآن دخل وحده المنزل ثم خرج وهو ينظر إلينا فى صمت وحين دخلنا وجدنا سائلة الرهدانة ميتة .

وجدتني أنظر الى عمل العقود في مشروعي بعد أن أتم حديثه . إنه لا يعلم أن ما قاله يعنى اتهامى بقتل سائلة الرهدانة . لكنه فى الحقيقة أعاد بأمانة ما رأى ، وذاك هو عيبه لا بسلكه حيث لم يميز بين مميزات

عندما سمعت ضابط الشرطة يأمر زملاءه وهو ينظر إلى ويقول :

- حين نظرت فى المصنع رأيت فى عينيهِ سرا ظننته كان يخص خوفه من حمل العقود . لكن اتضح عكس ذلك فاقبضوا عليه بتهمة قتل سائلة الرهدانة بإيعاز من سالم الطويل .

فاجاني ما قاله . لقد ربط الأحداث ببعضها بطريقة لم تجعل لى مجالا إلى الكلام ، لكننى سمعت الشيخ المؤدب يقول :

- لقد أحكم الغريب خطته . لو أننا خالفنا سالم الطويل وفتح المقهى اليوم لما وقع كل هذا .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

يوسف عبد العاطي

5/أفريل/1986

من أجل إضافة عربية مميزة في قيثاقي القصة والرواية عناصر البحث (١)

1 - تقديم : نهضة ولا نهضة !

- (1) واقع الهزيمة والتمزق والتخلف .
- (2) وضعية التبعية .
- (3) تنصارع ونحن غاطسون في الوحل !
- (4) كيف نتجاوز ؟ وكيف نبدع قصصا جديدا ؟

2 - ضرورة عقدة النقص : <http://Archivebeta.Sakhalin>

(1) شبروط أولية :

- أ - على المستوى الخارجي .
- ب - على المستوى الداخلي : رفع الامية وحرية الرأي والكلمة .
- (2) ضرورة وضع حد للانبهار بالغرب :

أ - ابقاء الانبهار وراء المدارس والمواضع الادبية الغربية .

ب - نحن مثل : Flaubert Bouvard et Pécuchet

ج - الواقعية ، واقعيات عدة !

(*) قدم هذا البحث للمؤتمر الخامس عشر للاتحاد العام للادباء والكتاب

العرب المنعقد في بغداد (17 - 23 مارس 1986) .

(3) لا بد من النظر لتجارب شعوب أخرى - عرضت نشاطها الأدبي - عالميا :

ب - أدب أمريكا اللاتينية : أمثال Biély

ج - أدب أمريكا اللاتينية : أمثال Asturias

د - أدب اليابان : أمثال كواباتا ... الخ .

3 - التحدي الروائي العربي :

(1) طريق العالمية - جمل بالتميز وعن طريق التجربة الذاتية .

(2) نهضة عربية روائية :

أ - قراءة الذات علميا .

ب - استقراء تراثنا القصصي واستلهامه .

(3) أمهات كتبنا القصصية العربية (أساطير - خرافات - القرآن -

الحبر - رسائل فلسفية - حكايات - ألف ليلة وليلة - القصص

الجنسي - كل القصص المخطوطة .

<http://Archivebeta.Sakniti.com>

4 - القواعد الضرورية لخلق رواية وقصة عربيتين جديتين :

المسعدى - البشير خريف (...)

(5) مراجعة كثير من أحكامنا المتسرعة .

4 - القواعد الضرورية لخلق رواية وقصة عربيتين جديتين :

(1) بيان مؤسس .

(2) أركان (4) .

5 - خاتمة :

(1) تجاوز التراث .

(2) جنس أدبي جديد شامل .

(3) الإيمان والطموح .

1 - تقديم : نهضة ولا نهضة !

كثيرا ما نقاجا وبصينا الدوار والحبيبة ونفجع حقا اذا ما قارنا وضع المواطن العربي ووضع الوطن العربي بوضع بلدان اخرى وميكانيكية المواطنين فيها ، وخصوصا اذا ما قارنا وضعنا الحالي - وهو وضع هزيمة و تمزق و تخلف - بوضع بلدان انطلقت حركات النهضة فيها بعدنا مثل اليابان التي لم « تتفتح » على الغرب الا في الستينات من القرن الماضي في حين بدأت اقطار عربية نهضتها قبل ذلك بكثير وفي ظلتها لبنان ومصر وتونس التي عرفت المطابع والجرائد والبعثات التعليمية لاوروبا، وهكذا جل ضمنت حتى في عملية الترجمة وبعث المعاهد العليا المختصة منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر (2) .

2 - وقد يفسر بعضهم قصور النهضة العربية وعدم قدرتها على الخروج بالوطن العربي من وضعية التبعية بالاستعمار المباشر قديما والاستعمار الجديد أو الامبراطورية الحديثة الذي قصم ظهرنا ونحن في أول الطريق ولا يزال الى الان يمنع وحدتنا ويسد علينا طريق التقدم - وليس ضرب المفاعل النووي العراقي من طرف الصهاينة المدعمن تكنولوجيا وسياسيا من طرف الامبريالية الا المثال الحي على ذلك .

ولكن هذا التفسير والاقتصار عليه لا يكفي ، اذ نحن مقتنعون بوجود عوائق ذاتية داخلية في الوطن العربي حالت ولا تزال دون تحقيق أهداف

(1) يدخل هذا البحث طبعاً ضمن الموضوع العام للمؤتمر « التحدي والاستجابة في الثقافة العربية المعاصرة » وهو يهتم في الحقيقة محورين اثنين : المحور الاول : في الابداع الادبي و ب منه بالخصوص : ظهور الانواع الادبية الجديدة والمحور الثالث : في الغزو الثقافي و ب منه بالخصوص : التحدي المضاد في التاريخ الثقافي العربي .

(2) مثال ذلك المدرسة الحربية بتونس التي بعثت للوجود في 5 مارس 1840 انظر كتاب الدكتور محمود عبد المولى : مدرسة باردو الحربية - طبع الدار العربية للكتاب - ليبيا - تونس 1977 - 163 صفحة .

النهضة. ولعل من أهم تلك المعوقات تمزقنا وتجزؤنا (3) وطبيعة الانظمة القمعية القائمة على طول الساحة العربية والتي تنزل المواطن العربي بمنزلة متدنية وتجعل منه مواطنا قاصرا خائفا لا يمكنه لا الصمود ولا القتال ولا اخذ المبادرات وبالتالي لا يمكنه للتجلبع والخلق في الميدان الادبي والفكري .

3 - وإذا جاز في الوطن العربي بعض النكسات تلو النكسات والهزيمة بعد الهزيمة والردة بعد الردة كاننا نتلذذ ما زوشيا بجلد ذواتنا وكاننا مثل الباحث من اللثة الجنسية بمفرده . وحيدا بلا مشارك وبلا مقابل ، فلا بذر ولا عطاء ولا انجذاب . وهذه الوضعية تذكرني بلوحة رائعة للرسم الاسباني المعروف فويا Goya (1746 - 1828) الذي يعد من اكبر الرسامين الذين هياروا لبروز الرسم المعاصر . وهذه اللوحة سماها فويا : **العربان أو الصراع** بضربات العصي وهي محفوظة بمتحف باردو بمطريد (4) وقد رسم فيها فويا صراع رجلين قد شهر كل واحد منهما عصاه وهما غائضان في الوحل الى ما فوق الركبتين (5) ، فما جدوى صراعهما وما هو مآله ؟ والوضع هو الوضع ، في حين لا يوحى الافق الملهم سحبا قاتمة الا بالويل والتبور والياس والانسداد .

4 - والسؤال المطروح علينا اليوم ، كيف نفتح الافاق المسدودة؟ وكيف نحقق نهضة عربية حقيقية ؟ وكيف نخلق التحدي المضاد في التاريخ

(3) مثل الخلافات العربية العديدة والانقسامات والحروب الهاشمية . ولعل أمثلة ذلك الحرب بين الجزائر والمغرب سنة 1963 والحرب بين ليبيا ومصر سنة 1977 .

(4) انظر موسوعة *Histoire de l'Art, la grande aventure des Trésors du monde* Grange Batelière, Paris, Editions Kister, Genève, et Erasme, Bruxelles et Anvers - 1973 - Tome 8 - p. 150 et 151

(5) وهي لوحة رسمها في السنوات الاخيرة من حياته ، سنوات المنفى في فرنسا ، وهي فترة لوحات قاتمة ، يائسة حزينة ، ترمز الى ثقافة كل أعمال البشر الخاضعة لارادة الزمن المتسارع والتي لا يمكنها الافلات من قبضة الموت الذي لا مفر منه .

الثقافي العربي؟ وكيف نخلق رواية عربية متميزة؟ وقصة، عبرية جذبت
مستوى رفيع عالمياً لتحقيق بها إضافة نوعية،

وعنه التباينات شرعية وضرورية في الآن نفسه وهي تلتقي مع
الطموحات التي تسكننا جميعاً وفي كل الميادين وخصوصاً في الميدان الفكري
أين نطمح أساساً إلى إعادة تشكيل العقل العربي المعاصر لنجعل منه أداة
فعالة أمام تحديات العصر وتحديات القوى العظمى المهينة على جميع الميادين
العلمية والعسكرية والاقتصادية. وكذلك في اللاذقية سنخلف هذا الاستمالة
مع طموحاتنا لبعث أدب عربي عملاق، يقف بندية على الساحة الانسانية مع
غيره من أدب البلاد الأخرى.

2 - ضرورة تجاوز عقدة النقص :

1 - شروط أولية :

ولبلوغ هذا الهدف ، هناك شروط أولية لا بد من تحقيقها ، وبدونها لا
يمكن لأي عمل حضاري أو فكري أن يقضح أو يعطي ثماره ، وهذه الشروط
ذات مستويين اثنين : <http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أ (مستوى خارجي : ويفرض هذا ضرورة الصمود لمحاولات الغزو
الخارجي سواء كان هذا الغزو سياسياً أو ثقافياً ، وضرورة التصدي له ورفع
التحدي المفروض علينا وذلك القيام بتحد مضاد .

ب) مستوى داخلي : تحقيق إطار عام من الوعي والحرية على كامل الساحة
العربية ، بدونه لا يمكن أي بناء سليم ولا تصور أي شيء إيجابي بالنسبة
لمستقبلنا جميعاً ويعني هذا أولاً : رفع الأمية عن أمة القراءة « اقرأ باسم ربك
الذي خلق » (6) حتى نتجاوز وضع العار الذي نحن عليه الآن والذي تباه فيه
نسبة الأمية في الوطن العربي أكثر من 70% (سبعين في المائة) وحتى
نحضر جمهور القراء للمقاصص والروايات التي نخطط لإنتاجها .

(6) سورة العلق : الآية الأولى ، وهي أول الآيات المنزلات على الرسول .

«وقاليد» دعم حرية الرأي والكلمة، وكيفما كانت التضحية.. وهذه الشروط
الاولية، الشروط التي تتطلب النضال المستمر، نضال كل أفراد الامة العربية
وبالخصوص من يطلب تحقيق الديمقراطية والحرية، ان هذه الشروط النضالية هي شروط
ضرورية ولكنها غير كافية بالمفهوم الرياضي
(Conditions nécessaires et non suffisantes)

2- ضرورة وضع حد للإبهار بالغرب :

يعد تحقيق هذه الشروط الأولية أو بالأحرى ونحن نعمل لتحقيقها
وبصفة موازية لا بد أن نقف وقفة تأمل ونقد لمسارنا حتى الآن . وهذه الوقفة
ضرورية وحيوية حتى لا يتكرر الفشل وحتى لا يتتالى الاجهاض . وهذه الوقفة
المادة هدفها دراسة مسارنا الادبي دراسة نقدية حتى نضع حدا لعملية مخاض
نهضتنا التي لا تنتهي منذ قرنين اثنين ، وذلك حتى يتسنى لنا الانطلاق من
جديد وعلى أسس سليمة ، صلة واضحة .

وهذا يتطلب أشياء عديدة نذكر هنا أهمها :

1 - إيقاف اللهاث وراء المدارس والأسماء الكبيرة والموضات الأدبية الغربية : (7)

وهذا موقف حضارى سليم ، لا خلق بدونه ولا امكانية للتجديد بدون
تبنيه ، وليس يعني هذا انكارا لقيمة ما اضافوه ولا يزال يضيفه الغرب فى
ميادين الرواية والقصة ، إذ إن هذا الانكار لا يفيد فى شيء ولا يمكن أن يحو
الواقع الثرى لتجارب الغرب ولقيمة اضافاته ، ولا يمكن لموقف يستنقص
دور الغرب فى هذا المجال إلا نعتته بالجاهل أو المتجاهل ، وبالاغتيال غير
الصحيح لما يفرضه الواقع فرضا .

(7) يراجع هنا كتابان اصدرهما راشد الغنوشي ، الاول الفه بالاشتراك
مع مصطفى النيفر وعنوانه : ما هو الغرب ؟ منشورات المعرفة -
تونس ، بدون تاريخ - 52 صفحة ، والثانى تحت عنوان : طريقنا الى
الحضارة منشورات المعرفة 1975 - 80 صفحة .

ولكن للوقت الذي وقفه جل الرائيين على هذا المصباح على وجهه حجب اللجج
 : وأقول جل لا كجل لا ككلن موقف الإعجاب المبسوط فيه لا يسيط الغرب
 ولا سياليه ولا طروحاته : وكان موقف الانبهار وبالتالي مواقف التبعية مع بطلان

فقد لهتنا - والحق يقال - وجرينا طويلا وراء مدارس الغرب الأدبية فبعد
 الرومنطيقية وما ظهر منها عندنا من شعر غنائي تزعمه خصوصا أدباء المهجر
 وأبو القاسم الشابي وعلى محمود طه وغيرهم ، وبعد المدرسة الواقعية والتي
 فرضت نفسها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أيدي أدباء كبار
 من أمثال بازك وفلوبير وزولا وفرنسا ودستوفسكي وتولستوي وبروستيا
 وديكنز بانكلترا ... وبعد الواقعية الاشتراكية في القرن العشرين ...
 لا بد لنا نحن العرب من أن نلج هذا الباب وننتج فيه ، فكان لنا مثلا نجيب
 محفوظ وغيره ... ثم كانت موضة الوجودية في الفلسفة والرواية والمسرح ...
 فوجدناها ... ثم ولت هذه الموضة وظهرها يسمى بالادب التجريبي والقصّة
 الجديدة أو الرواية الجديدة (Le Nouveau Roman) فركبنا هذا الجواد
 أيضا (9) وصرنا نترجم توجهات هذه المدرسة ونطبقها في نصوصنا وعلى
 إنتاجنا معتبرين أن كثيرا من المفاهيم صارت عتيقة بالية ، تعادها الزمن
 ولا بد إذن من تجاوزها ومن ذلك مثلا مفاهيم : الشخصيات في الرواية ،
 والحكاية التي لا بد أن نسردها ومفهوم الالتزام والشكل والمضمون وناديننا
 معهم « بخلق قصة جديدة للإنسان الجديد » و « بتجاوز الواقعية والوصول
 للواقع » وبرواية « تخلق نفسها بنفسها » وتفرض نفسها على المؤلف علينا
 جميعا ! ثم تركنا كل ذلك وانصب اهتمامنا على الأسلوبية والهيكلية أو
 البنوية ... الخ ... ونحن لا نزال نلهث ولا نكاد نصل ، لهث السلفاة
 وراء الأرب ، كما في واقع الأمر لا كما في الاسطورة وفي الخرافة ... ورفعنا
 شعارات عدة لعل أهمها : التجريب ولا شيء غير التجريب ، بدون تحديد
 إطار التجريب ولا أهدافه ولا شروطه . فظهرنا بذلك سذاجة غريبة وتخلفا
 في الزمن كبيرا ، لان موضة التجريب الطوباوية مرت بها أوروبا آخر القرن

(8) انظر الكتاب التفسيرى لصاحب هذه المدرسة ، آلان روب غريي
 Alain Robbe Grillet : Pour un nouveau Roman - Gallimard -
 Paris - 1963 Collection Idées n° 45 - 184 pages.

(9) انظر مثلا كتاب عز الدين المدني : الادب التجريبي - طبع تونس ...

الإنسان أكثر المسيحية هذه موجة الاهتمام بالحدود بالعلم وافتاحه أو بالحرى
 الاعتقاد في قيمة العلم وبنائه القادر الوحيد على حل كل مشاكل البشرية وهو
 ما أطلق عليه اسم: **السينوليتيزم (Le Scientisme)**

ب - نحن ، مثل : **بوفار وبكيشي (Bouvard et Pécuchet)**

ونحن العرب وقفنا هذا الموقف واسط قرننا هذا - ولعل البعض منا
 لا يزال في هذه المرحلة - وإذا بتنا بالضبط مثل بطلي فيستاف فلوبيير
 (Gustave Flaubert) (Bouvard et Pécuchet) (10) وهي رواية طريفة جدا
 لم يطبعها مؤلفها ومات دون أن ينتها ، وهي آخر أعماله والتي قضى في
 كتابتها مثل آثاره الأخرى الاستاسية خمسة سنوات ، مع التفرغ التام لمهنة
 الكتابة . وقد نشرت طبعاً بعد وفاته . وقد حاول فيها طرق موضوع كبير
 يشغل بال كافة معاصريه وهو قيمة العلم ومكانته في المجتمع ، وحاول مثل
 الفلاسفة في كل العصور القيام بحوصلة لكافة علوم عصره وهي عديدة جدا
 وإلى أين وصل تطورها وما هي المشاكل التي تطرحها على نفسها وإى مسار
 تتخذ !! وهذا الموضوع - على حسب علمنا - لم يطرقه روائي قط لا قبل
 فلوبيير ولا بعده ، لأنه موضوع صعب جدا ويتطلب معرفة شمولية
 أنسيكلوبيدية ، وقضى فلوبيير خمسة سنوات من حياته يبحث وينقب ويتعلم
 دون أن يتم برنامجه .

والبطلان هما كهلان موظفان بسيطان ، يرث أحدهما ثروة صغيرة غير
 منتظرة فيقرران التقاعد المبكر من الوظيفة للتفرغ للعلم - وما ادراك ما
 العلم ! ويقضيان هكذا عشرات السنوات يتعلمان كل العلوم ، كل علم على
 حدة والعلم بعد العلم ، بدون منهجية ولا سابق استعداد ، فنراهما يخصصان
 أشهراً لعلم الرياضيات ، ثم الفيزياء ، ثم للطبيعيات ، ثم للجيولوجيا ،
 ثم للبيداغوجيا ، ثم للحقوق والاجرام ، ثم للفلاحة ، ثم للتاريخ ، ثم لعلم
 الاجتماع والفلسفة ... وعلم النفس .. الخ ... ويخصص فلوبيير لكل هذه
 العلوم فصلاً على حدة من روايته الفريدة ، يتطلب منه أشهراً من المطالعة

(10) انظر أعمال فلوبيير : *Oeuvres* - Edition : Gustave Flaubert :
 Gallimard, collection : La Pleiade - Tome 2 - Paris 1952, de
 la page 693 à la p. 1028.

والسفر والامتنع بال... والجلال... لا تتجاوزان طاهر العلم الذي يدبرانه ، يتخبطان في مشاكل سطحية ومفتعلة مما يدخل السام سريعا الى نفسيهما فيتركان العلم الذي هما بصده وقد نقما عليه الى غيره . وهكذا من فشل لآخر ومن احباط لآخر الى آخر الرواية ... والرواية لا آخر لها .

فلوبير اراد بروايته العجيبة هذه ان يعرى اهل زمانه الذين كانوا يرددون اشياء لا يفقهونها ولم ينحسروا بتاتا وهو يسخر بالخصوص من هذا «الدين» الجديد وهو «دين العلم» ويتنبأ بفشل المسار الذي لا يشفع له أى شيء ايجابى الا حسن الاستعداد النفسانى والطبية الساذجة ... ونحن العرب أيضا ، وكاننا رددنا طويلا بسذاجة مبالغ فيها : التجريب ! التجريب ! وكان التجريب غاية في حد ذاتها ، أو هدف لا بعده هدف (II) وبكلمة موجزة ، لا بد من القطع مع السذاجة البلهاء وتجاوز عقدة يطلي فلوبير Bouvard et Pécuchet (هذه الرواية قلنا يتعرض اليها النقد حتى في فرنسا ولا تقرأ الا قليلا) .

ج - الواقعية ، واقعيات !

ونفس الشيء يمكن ان يقال عن الواقعية في الرواية والقصة ، فنحن لا يمكن ان نكون من انصار هذه المدرسة في المطلق ، فالواقعية في الحقيقة واقعيات :

(II) نفس الشيء يمكن ان يقال عن ظاهرة طغت على الساحة الفنية في البلاد العربية وهى تقليد رسامينا للرسم المسمى بالتجريدي الذي لا يمكن ان يكون له أى مبرر في الرسم العربي - وللرسم العربي تجريد آخر ، بتوجهات أخرى ومنطلقات أخرى - في حين أننا نفهم ظهور التجريد في الغرب كمرحلة طبيعية لتطور الرسم على مدى قرون وبروزه بالخصوص في القرن العشرين الذي مزقته حربان عالميتان مدمرتان تركتا عشرات الملايين من القتلى ومزقتا العالم وشكلتنا في كل الثوابت والقيم بما فيها ثوابت الرسم والموضوع والخطوط ، مع ماضى تاريخي ثوري في ميدانى السياسة والفكر يقوض كل ما هو متعارف عليه وكل ما هو « مقدس » في فترة ما ... مثل الايمان أو النظام الاجتماعى الخ ...

باعتبارها **واقعية** **الروائية** **الاشتراكية** **الادوية** **المنتصرة** **بعيد** **الثورة** **الفرنسية** **والتي** **تخطط** **لستقبلها** **السياسي** **والاقتصادي** **وتنعت** **المجتمع** **حسب** **مصلحتها** ، **والروائي** **هنا** **يكون** **دوره** **وصفي** **تأذج** **من** **هذا** **المجتمع** **في** **تصارعها** **وفي** **البحث** **عن** **مكان** **لها** **ضمن** **لعبته** .

- **وهناك الواقعية الاشتراكية** **التي** **تدخل** **ضمن** **فلسفة** **سياسية** **معينة** **تهدف** **خلق** **إنسان** **جديد** **ضمن** **علاقات** **جديدة** . **ودور** **الكاتب** **الروائي** **هنا** **التبشير** **بعهد** **الشيوعية** **والتنديد** **بالمعوقات** **التي** **لا** **تزال** **تقف** **في** **طريق** **ذلك** **المثال** **الاجتماعي** .

- **وهناك واقعية** **ما** **قبل** **التحرر** **من** **الاستعمار** **المباشر** **في** **العالم** **الثالث** **وما** **بعد** **تلك** **المرحلة** . **وهذا** **يتطلب** **من** **الروائي** **التبشير** **بعهد** **التحرر** **أولا** **ثم** **بتعرية** **واقع** **البؤس** **والتخلف** **والجهل** **في** **المرحلة** **الثانية** . . . **والواقعية** **في** **الادب** **لم** **تظهر** **بصورة** **عفوية** **في** **التاريخ** **أو** **لان** **أحد** **الكتاب** **عنت** **له** **فكرتها** **ذات** **يوم** ، **هكذا** **بعض** **الضدفة** **أو** **نتيجة** ، **إلهام** ، **أو** **«** **وحى** **»** **وانما** **برزت** **نتيجة** **مخاض** **تجربة** **عميقة** **في** **الكتابة** **الروائية** **وكرد** **فعل** **على** **مدارس** **أدبية** **أخرى** **كانت** **طاغية** **في** **زمن** **ما** **وفي** **بلد** **ما** . **فتصادمت** **المدرستان** **وتناحرتا** **وتحاربتا** ، **حتى** **كانت** **الغلبة** **للواقعية** **ففرضت** **نفسها** **ونظرتها** **للأشياء** **ولعملية** **الخلق** **الادبي** .

لذلك لا يمكن أن ندعو للمدرسة « الواقعية » هكذا وبدون مبررات لا تاريخية ولا اجتماعية ولا سياسية ولا فنية وبكلمة أخرى لا يمكن أن ننطلق في الإنتاج الروائي « الواقعي » بدون دوافع عميقة وبدون تنظير أو تفسير .

3 - وهكذا لا بد لنا أن نتجاوز عقدة النقص فيها ، وأن نتجاوز سلبياتها وهي كثيرة ومنها تباكينا على أنفسنا لأن هذه الظاهرة مرضية ولا شك (Apitolement sur soi) ومنها اعتقادنا أن هناك تحالفا شيطانيا

ضدنا لمنح كتابتنا جائزة نوبل مثلا (18) وأنه **بالتفكير انتاجية شعوب أخرى غير عربية فرضت إنتاجها الروائي ونمطها الإبداعي على البشرية كلها** : ففتح لنا في ميدان الرواية أمثلة عديدة لشعوب وكتاب وصل مستوى أدبها إلى أعلى المستويات عالميا من ذلك أدب أمريكا اللاتينية أعالي وأدب اليابان وأدب روسيا قبيل الثورة الاشتراكية وبعدها

وساقتصر وبايجاز على ثلاثة أمثلة :

أ - أولها الادب الروسي الذي فرض ولا يزال نفسه على الساحة العالمية بأسماء الأدباء الكلاسيكيين المعروفين الكبار من أمثال تولستوى ودستوفسكي وتشيكوف (في أقصوصاته) وقوقل وقوركي ... **الهدى لمتجلا رائدا** ...

ولن أقف عند هذه الاسماء وآثارها فذلك معروف لديكم ، ولكنني اكتفى بالإشارة لأثر قلما يذكر ولم أره مترجما وهو رواية **بترسبورغ** لأندري بييلي (13) (1880 - 1934) وهذه الرواية اعتبرها من أعرق الروايات التي اطلعت عليها ، بها أبطال كثيرون ولكن البطل بلا منازع هو مدينة بترسبورغ (لينين فراد فيما بعد) وهذا الكاتب العبقري ، السريالي والواقعي في الآن نفسه ، والذي عرف الجئون أمراة وكابده حتى قتله ، **أقد ترك أثرا عالميا ترجم**

(12) هناك أعداء كثيرون في طريقنا ، ولا شك في ذلك ، والصهاينة في الطليعة والامبريالية بعدها ... ولكن الداء الكامن فيها هو أول الاعداء والمعضلة الحقيقية والعائق الأكبر في نهضتنا . وقد يكون فيما انتجنا من أدب كثير من الإبداع ومن المستوى الرفيع ولكن هناك عوائق النشر والترجمة وبخصوص الصورة الحضارية العامة للمواطن العربي وللوطن العربي في أرجاء المعمورة والتي هي سلبية تماما في أغلب الحالات . والتباكي لن ينتهي عهده ما دمنا لا نزال نعيش عصر أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وفريد الأطرش ...

Andrei BIELY : PETERSBOURG, éditions l'Age d'Homme (13) Lausanne - 1967 - 371 pages. Traduit par Georges Nivat et Jacques Catteau - Préface de Pierre Pascal - Postface de Georges Nivat :

وهذه الحاتمة هي دراسة عن هذه الرواية وبها 43 صفحة .

تصويرات اللغات الصنافية بوسيدوس من التعاقد العليا كنموذج ناجح للرواية في الحزن والجوه (14).

وذلك في انكليزيا والمؤيكله الفانيه وإيطاليا وفرنسا على أقل تقدير ، وفي البلدان الاشتراكية لطيفه.

ولعل قصة بلما تكمن في اللغة التي نحتها نحتا وشحنها صورا ورموزا وفي التجديدي المرمي الذي يمكنه وفي تصويره المدينة المعاصرة ككلمين وكينسجات لا نهاية لها . وربما دوره في الادب الروسي مثل دور Joyce في الادب الغربي.

ب - ادب أمريكا اللاتينية بكل أسمائه وبالحصوص منها ماركيز ولن أقف عند الاسماء المعتادة ولكني سأذكر ميغال استورياس ، الحائز على جائزة نوبل للادب لسنة 1967 وروايته : رجال من حنطة (15) والتي استوحى منها - مثل ما فعله دائما في كل آثاره الاخرى - (16) أساطير بلاده فواتيمالا واعتقادات شعب المايا (Mayas) القديمة والمعاصرة . فاذا به يبدع أدبا ذاتيا وعالميا في الآن نفسه ، أدبا منفردا يوصل صوت مواطنين مسحوقين الى كل لغات العالم وإلى كل الشعوب .

(14) زار بيلي تونس ومصر وفلسطين في نوفمبر 1910 والفصل الاخير من رواية بترسبورغ (3 ص) مخصص لتلك الزيارة . ولا بد من ترجمة هذه الصفحات - على الأقل - لقراء العربية ...

(15) Miguel Angel Asturias : Hommes de Maïs - Albin Michel - Paris - 1970 - 312 pages - traduit de l'espagnol par Francis de Miomandre.

(16) لاستورياس أحد عشر كتابا أدبيا آخر مترجم الى الفرنسية وإلى لغات أخرى ، ومن أشهر ذلك روايته El Senor Presidente السيد الرئيس ، والتي يندد فيها وبسخرية بالدكتاتورية « الف رواية : « رجال من حنطة سنة 1949 » وقد صورت روايته : « السيد الرئيس » في شريط سينمائي « (Livre de Poche, n° 2503 - 384 pages)

ج - أدب اليابان وهو من «أثرى الآداب قديما وحديثا» ولذا «توقفت» إلا عنه كاتب واحد وهو كواباتا KAWABATA الذي «يحظى» ب«كثير من» جائزة نوبل للآداب لسنة 1968 والذي أراد في رواياته العديدة وبالأخص «بلاد الثلج» (Pays de Neige) أن يصف الحياة اليومية البسيطة الروتينية أيام هذه العداية وخبياتها الصغيرة. ووصفه «الميناتوري» الذي يذكرنا قبل كل شيء «القليلة»

«وكانها حروف خطاط» يهدف وصفه هذا إلى تخليد الإنسانية للطبيعية لدى البشر والتي تهدهدها الحياة المادية المعاصرة التي «تطحن» كل القيم وكل الأشياء طحنا. من ذلك وصفه المطول لزهيرات مرعشات تحترق في مصغف شجرة في بيت تحلم فيه فتاة عادية بالحب والزواج وتكوي «عفن» زوجها سعيد، ذلك هو موضوع روايته ولا شيء غير ذلك. وقد رأت لجنة إسناد جائزة نوبل أنه استحق الجائزة «لقدرته الكبيرة وموضيته اللامعة كقصاص» يعبر بحس مرهف عن جوهر الروح اليابانية بالذات» (17).

وهذه المنطلقات وأمثالها هي التي جعلت من الأدب الياباني أدبا غزير الانتاج وله إشعاع عالمي؛ تلك إذن بعض الأمثلة التوضيحية فقط لهذا التوجه الخاص في الأدب والذي انطلق في آداب متنوعة من معطى أساسي وهو حضارة خاصة ذات حس خاص وتصور خاص، فربحت تلك الآداب سمعة عالمية وإشعاعا إنسانيا لا جدال فيه.

للبحث بقية

(17) من قصصه المترجمة للفرنسية نذكر : La Danseuse d'Izu,

— Nuée des Oiseaux Blancs — Les Belles endormies —

وقد انتحر ياسوناري كواباتا في أبريل من سنة 1972 عن سن 73

(مولود سنة 1899) بطوكيو وقد وضع أنبوب الغاز في فمه . مات

منتحرا مثل مواطنه ميشيما يوكيو (1925 - 1970) الذي انتحر مثل

الساموراي القدامى بفتح بطنه بالسيف احتجاجا على توجه اليابان

السلمي انظر موسوعة :

Le Million, l'Encyclopédie de tous les pays du monde, :

volume IX - Grange Batelière - Paris - 1972 - p. 343.

الدفع بين أحضان النخيل

على امتداد الأفق وحشما من تحت البصر فلا يقف ناظراك على شيء غير الصمت الكليل بالمهاجرة وغير الفراغ الذي يملأ عليك شعاب قلبك فيفيض على جنباته إثر هذا الصمت وريش هذا الفراغ حيرة وذهولا فلا تدري أي الجهات تقصد المقاصد تؤم إليها الصحراء بامتدادها وسلطانها فلا من يجزؤ على اقتحام ربوعها أو سبر أعماقها ، ولكنك واجد فيها - رغم بوادر الفزع التي تلوح لأول وهلة ورغم سيل المخاوف التي تفرض نفسها على الناس فرضا - مناعة تقيك شر نفسك وأنسا يشيعه فيك شعورك بأنك تقف أمام مشهد خال من البهزج صاغته قدرة صناع. فإذا بك نانس بالفراغ وتطمئن للصمت وتعجب بالامتداد اللامحدود .

كان عبد القوي يفكر في كل هذا وهو على متن بساطه الطائر المحلق في الفضاء الواسع حوالبه وفجأة انقطع هذا الشريط ليجد طائرته حطاما تلتهما النيران وليجد نفسه بين الحياة والموت ، وما ان خرج من ذهول المفاجأة حتى نهض فلم يقو فتقدم متبعثرا قائما قاعدا يسحب وراءه رجلا مهشمة تنزف جراحاتها ، وجرابا لم يزل عالقا بأحزمة ما انفكت تشده الى بقايا طائرة كانت منذ حين تطير مزهوة فوق هامة هذه الصحراء غير عابئة بدنيا الفراغ تحتها ولا مكتثرة بما تخفيه هذه الكثبان من أسرار ورموز ومفاجآت .

كان عبد القوي يزهو فخورا بأنه سيد هذا الفراغ وفوق هذا الصمت يؤنسه هدير محركاته الذي يقوى على كل هدير ، معننا النظر فيما تحت أقدامه من امتداد لا يعرف نهاية وسعة يقصر دونها التحديد ... نظر خافه متثاقلا ليلقي نظرة كسيرة صامته مودعا بها جناحين كانا الى حين بساطه الطائر ومركبه المريح لكن أوجاعه أجبرته على التحول من التفكير في الطائرة الى التفكير في نفسه لقد الهاه حاله عن ماضيه وشغله حاضره عن مآله ،

فعاد يتحسس مواطن الألم في رجله عله واجد فيها مقبلة من قاصد لا يخطئ له
حيث يموت أو يحيا بعيدا عن هجمات الذئاب التي لا مفر له منها طال
الزمان أو قصر ...

عبد القوي شحذ عزائمه مبغيا على ذؤابة الأمل حية فيه ، فخائنه

قواه ولم يقو على التقدم قيد أنملة ، وفي لحظات اليأس هذه التقط سمعه
وهو الحاسة الوحيدة التي لم يسكنها الألم ولم تقو عليها الجراح :- إنه يذيب
الأمل يترأى له من بعيد فيراه بذهنه والعين مفتحة والآنفاس صاعدة
لاهثة . وما هي إلا عنيفة حتى عاد لعبد القوي وعيه ليحده نفثته يعجزها
الاطمئنان ويؤنسها الحضور وترعاها يد امتدت إليه لتأخذ بيده لتضيق
جراحه وتشد من أزره وترفع من مغنوياته ، ترى من تكون ضاحكة حذرة الخيط
في مثل هذه اللحظة وفي هذا المكان بالذات ... ؟

من تكون هذه اليد الناعمة رغم خشونة ملمسها ، من تكون هذه اليد
المواسية المتوجة بتاج صناعه الصراع اليومي من أجل الحياة ، من تكون
صاحبة هذه اليد الحبل بالعطف والحب والانس ؟ إنها أم الخير راعية بسيطة
شدتها الموقف فلم تقو على الفرار دون بذل المعونة والمساعدة لجريح يدعو
صوته الى الاحسان ، وغدا صدها يرن في الأذان إنها فتاة أنبتتها الصحراء
نباتا فغدت رمزا للمروءة التي لا تعرف قيда ولا شرطا كل ما فيها وما عليها
ينبئ بأنها بدوية أصيلة استمدت من صحرائها الأنفة والصبر والكبرياء ،
فانصهرت كل هذه القيم في أنوثتها فبدت الأنفة عطفًا والصبر تجلدا
والكبرياء مروءة ، فتح عبد القوي بصره فلم يقو على استيعاب المشهد ولا على
تصديق الموقف كان ينتظر الموت فوجهت له الحياة ، ويتوقع الضياع فمنح
الرعاية ، ويترقب هجمات السباع فوجد نفسه بين يدي ملاك يزود الشر
عنه ، ويحول دونه ودون الموت !

ضمدت الجراح وأوقف النزيف ، وما هو عبد القوي ممتدا على بساط من
رمل محاطا بأفراد عشيرة كل فرد منها يبذل الروح فداه ... لقد استطاعت
الجماعة أن تعيد لعبد القوي صحته وثقته بنفسه وبمن حوله ، لقد وجد في
القوم الذين باعد بينهم المستوى الحضارى جذوة من الرجولة بادية الملامح ونبلا
قل أن يوجد له مثيل فهم وإن بدت منهم الحشونة ينظوون على رصيد من

الوداعة واللفظية ، وكرمهم في وصف أساليب الحياة الفطرية البسيطة في حياتهم اليومية فهم أهل لبر وخلق ولا يظنون من قيم حتى كل وصيدهم في التعامل مع الصحراء منبع القيم والمثلولة والصفاء وحسن المعاشرة واحترام العهد ،

انطلق عبد القوي في نظره القوم إنسانا في حاجة الى العطف والمواساة لا تربطه بالقوم غير ضللة المروءة والتجدة وبذل المعونة ، ولكن الايام أبدت غيب ما اعتقدوا فكل يوم يسر لا وتقوى صحته بهم ويشتد عطشهم عليه ، لقد عرفوا في مختص الحب القوي بظاهرة رجولة عز عليهم أن تهان ، ولامع وقار ألقمهم بأن قدان ومغسلات ليل سابعهم أن لا تجد لديهم رد الفعل الكريم ، لقد افترقوا بجملة أن كل هذه المواصفات قل أن تجتمع في ذات يغني ظاهرها عن استبطان باطنها . وأيقنوا أن بسطة الجسم وكمال العقل لا يركبان إلا نفسا أبية طموحة ، فتأكد لديهم أن صاحبهم من معدن طيب وأصل منيع ومثبت أصيل .

ازداد تعلقهم به بعد أن استقام منه البدن وعاودته الصحة من جديد فبدأ في زبي البداوة وقوارها مهابا . ومن خلال ممارسته حياة البادية أخذها بقيمها متلبسا بأصولها فارسا مرنا يقوى على ركوب المخاطر واقتحام المجاهل ، ساعدته فتوته على ترويض الشارد من الأبل وتأديب الجموح من الحبول وعلى الخروج بنجاح من كل صعب وشاق ، كان عبد القوي في نظر الشيوخ والكهول رصيذا من النبات والحكمة وبعد النظر سرهم أن يكون معهم للخير والتروي . وكان في نظر الشباب رمزا للقوة والفتوة التي تنضج عزة وأباء وهو في نظر مثيلات أم الحير الصورة المثلى لفارس أحلام كل بدوية خبرت الصحراء وأيقنت أن لا صحراء بدون رجال .

أما هو فقد تقاسمت كل هذه الفئات عطفه ومحبته وميله فاحتل كل واحد منهم أعز مكان في ذاته يكاد لفرط حبه لهم يذوب في كل واحد منهم وكان كلما تحدث الى احدهم يشعر انه مدين له بحياته . لقد عرف القوم بابطنه وظاهره وخبروا ما تنطوي عليه ذاته من قيم وكرم وشعروا مع الايام بأن شيئا خفيا بدأ يتحرك بداخله ، انها أولى بوادر المحبة نحو القوم من خلال أم الحير . لقد أحس بأن روابط قوية قد غدت بأم الحير ، ذاك الطيف الملائكي الذي حمل اليه الحياة والامل فصاغه صوغا جديدا . لكن كيف يقوى

على الانفصاح بما تنطوي عليه نفسه ، لقد أصبح يشعر بأنه مشغول الى هذه الصغراء شديدا . ايضاح القوم بصدق عواطفه ؟ لهو يجل عنهم ويسفن في أرضهم وإلى الابد عاطفة حب نقي ظاهر كفالج الصبح وهنداء اللجين .

لقد انعكس هذا الصراع الباطني الذي يحياه وعذبه الهواجس فيتورا سمعت ملامحه الى اخفائه وقلقا أبت شجيبته أن تكشف عنه وحيرة حال بعد نظره أن يقرأ على ملامح حاله . أتري كيف التخلص من هذه المعاناة ؟ وهل إلى تجاوزها من سبيل ؟ الأيام تتقدم لحظة بعد لحظة وعاطفة المحب تنمو اشواطاً بعد اشواط والقوم يعطونني من مهجهم ما أردت فهلاً من نجدة أيتها الاقدار ؟ يا للحيرة لكان الزمان بأمره وحاضره وغده جمع في لحظة واحدة فكانت يوم لقاءك أم الخير !

عاش عبد القوي مع هذه الحواطر وأظهر من المكابدة والعناء لجسها فابت إلا أن تقرأ على ملامحه وتبدو في كل موقف من مواقفه . كيف يقوى على نسيان الماضي . كيف يحو من ذاكرته زي نسور وأوسمة المجد والبطولة ومئات التحليلات في الجلو . أين مني الآن أولئك الذين عرفتهم وعرفوني ؟ أو يمكن أن يتلاشى الكل من هذا الجزء ؟ استيقظت في مخيلة عبد القوي كل ذاته الباطنية واستحضر كل ماضيه فبدأ التملص منه صعبا والفرار منه مستحيلا . إذ يبدو له ماضيه في كل خطوة يخطوها وفي كل همسة يهمس بها . حتى ود لو تمثل له هذا الماضي بشرا سويا لقارعه . أصبح الماضي بالنسبة اليه الصق اليه من ظله وأقرب اليه من ذاته ، وبدأت لحظة القرار في عدها التنازلي ودقات قلبه في تصاعد . إنها لحظة المصير بالنسبة لأم الخير . لقد أحب أم الخير بكل جوارحه ، وأحب قومها من ورائها بكل ما في الكرم من مروءة . هل يفتح القوم بواقعه وليكن ما يكون ! وفي موقف من مراقف الحيرة باح لأم الخير بعواطفه فكانت الدعشة المملوءة حيرة والحياء الذي ليس بعده حياء . يا الله أترأه يهوانى كما أهواه ؟ ولكن حياء العذراء واحتشام البداوة عقدا لسانها فلم تقو على الرد ، ولكن الرد جاء ذهولا عبرت عنه نظرة مليئة بالمحبة لانها كانت ترى في عبد القوي شابا ساقته اليها الاقدار فلا يجب أن تفرط فيه ، وهبة منحتها إياه السماء فلا تقبل المنازل عنه . أدرك القوم أن أم الخير لا يمكن أن تكون لغير عبد القوي فأصبح الكل يرعى هذه العاطفة من بعيد ويحتضن هذا الالف عن قرب ، ويرعى هذا

التقارب بعد . في انتظار أن تزف أم الخير الى عبد القوي . وما هي أم الخير
تصبح عروسا تملأ البيت حبا ودفء ومرحاً ، لقد أصبحت أم الخير في نظر
عبد القوي كل شيء يرى من خلالها ذاته وأنسه وسعادته وأمه ويومه
وغده ...

مضت أشهر الربيع كأنها الحلم الرخي الناعم وما هي تستعد للرحيل
تاركة مكانها لحرارة الصيف وما أعظمه من صيف في الصحراء العارية حيث
لفح الحرارة لا يطاق فيضطر القوم الى الرحيل الى حيث الظلال الوافرة
والينابيع الصافية والأخضر الدائم ، الى واحات النسيان وجنات الخلد في
إطار من جحيم الصحراء وينابيع الحياة المؤطرة بدنيا العطش .

وما هو عبد القوي يخطو خطواته الأولى في دنيا الارتحال فهلا تراه يتبعها
بثانية وثالثة ؟ فهلا يطيب له العيش في ظلال الحمايل ؟ فهلا ينعم من جديد
بخرير الجداول وابتسامات الربيع ؟ فهلا يطيب له المكان فينعم بالدفء بين
أحضان النخيل ؟!

أحمد التهامي بوطبه

الرقبة تطاوين

1987/2/5

العنكبوت

يجيء الليل وينشر أريجها في المدينة . تبتهج الشوارع-المجيشة وتسترين فوانيسها وأنوارها المختلفة الالوان لتلقاه وترقص معه على شتفاف الفرح . وجدران المنازل وسطوحها التي ترقبت مجيئه تحب أن يداعبها بأصابع من حرير ...

الشارع الكبير يمتد أمامك من البيت الى السوق ، الى وسط المدينة ، يعج بأبناء حارتك ، بأصدقائك ومعارفك وبوجوه الفس النظر اليها . والمصاييح أقمار ترقص للظلام الذي يحلق فوقها ومن حولها كقبة من عبيز . الوجوه مضمخة بالنور ، والظلال تتلاشى تحت الاضواء الكثيرة ، السيارات تزحف لتشق طريقها بين المترجلين الذين أسكرهم عطر الليل فانتشروا في عرض الشارع يمشون على مهل أو يقفون جماعات ويتبادلون أحاديث تزرع الابتسامة على وجوههم وأحيانا تطلق أفواهم بالضحك غير عابئين بالسيارات التي تتقدم بأقل سرعة من الراجلين .

إنه رمضان ، صوم بالنهار وأفراح بالليل .

الشارع الكبير يعبق بروائح متنافرة توزعها نسيمات الليل على المارين . رائحة القهوة تخرج من مقهى قريب أو بعيد وتجيء لتختلط برائحة «الزلاية» و «المقروض» ، وتلتقي الاثنتان برائحة البخور الآتية من هذا المنزل أو من ذاك تختلط كلها بروائح أخرى وبعطر النساء اللائي خرجن مع ذويهن أو منفردات يعلن الفرح بالليل . وأنفاس رمضان تحلق في الفضاء وتتنقل عبر أمواج الليل في كل مكان تنشر الحبور وترسم الابتسامة في الوجوه .

الشارع الكبير يفتح ذراعيه اليك ويدعوك الى الخروج لتلقى أصحابك في السوق وتشاركهم السهر في مقهى من المقاهي التي تفتح أبوابها في كل ليلة

من ليالى وعيلىن للبهجة والمزمار والذين يذوعان من عيون الوافدين اليها
ومن في قرقرة الشقيقة وحنان للمخنيين . تتردد في الخروج لان الجيب
خاو ، المال اللعين يابى انه ياقوي الخ جيبك اعمل بقية الناس .

امراتك تنهدت كثيرا اثناء تناولك الطعام الافطار ، ذبا كانت معذورة
فالاكل لم يكن كافيا لاسكات جوع نهار كامل ، وهى على كل حال لم تقل
شيئا ، وابنتك همة الثنا كانتا تبكيان وتنتلقان الطعام من امامكما ، وابنتك
الكبرى لطمت اختها الصغيرة بالمعلقة عندما اكلت من امامها فارتفع صراخ
البنات ولم تسكت حتى بعد ان وضعت لها امها الطعام فى صحن لتاكل
بفردهما .

بعد الافطار ، كنت ترغب فى كاس من الشاي ووضعت زوجتك البراءة
على النار لكنها اكتشفت بعد ذلك ان علبه السكر فارغة ، وبحثت عند امك
التي اختارت ان تستقل فى شؤون الطبخ برغم المسكن الواحد ، فلم تجد
عندها ، فطلبت منك ان تأتيها بالسكر من عند العطار المجاور ، وكان جيبك
فارغا فقلت لها : ضعي البراءة من على النار ولا داعي لاحضار الشاي الليلة .

— هل أبعث البنات لتأتيانا بقليل من السكر من عند زوجة الجار .

— لا تطلبي شيئا من عندها ، ألم يرجع زوجها أمي صفر اليدين عندما
أرادت منذ أيام أن تجمع لى ثمن السفر الى الحارج ، وقصده فى مبلغ هو
قادر على أضعافه ؟

— الناس اليوم لا يقرضون أموالهم الا بضمان ، ولعلمهم محقون فى ذلك
لان أشخاصا كثيرين يتهربون من تسديد ديونهم إما عمدا أو عجزا .

* * *

تضحك المدينة فى هذا الزمن الاعرج وبناتى تبكيان .

بناتى تجوعان وتعريان والمدينة تفتح شديها لنسمات الليل وترقص فى
ضوء المصابيح التى لا تنام . وهذه الوجوه التى يغص بها الشوارع الكبير ، هل
تعيش كلها فى رفاهية؟ هل هجر الحرمان كل الديار ليستقر فى بيتي؟ أم انها
نشوة الليل وبهجة الافطار تنسيان الصائم مرارة الفقر وضراوة الخصاصة .

المدينة تمنع بالعاطلين عن العمل مثلك ، وبالمجرومين أهل الشوارع وينودي الدخيل
المحدود والموقوفين ، لكن سحر رمضان يصبق في قلب المدينة ويسيري في
النفوس فيزول عنها الكدر ويلين أعضائها وتصفو آفاقها ..

ألم يبلغك خبر تفشي السرقة في الأحياء ؟

منازل كثيرة استهدفت السرقة ليلاً أثناء نوم أصحابها .

البطالة وغلاء المعيشة خطر يترصد بالمدينة ومن لا تدري ، أو قلها طري
ولا تبالي ... إنه زمن أعرج ... وهذه الوجوه ذات الأرجل العرجاء الضحك ،
تفتح أشداقها للريح وتضحك ... آه لكم أكره الريح ... لقد مزقت أشرعتني
وشتتت مراكبي وتركتني أضرب في فضاء بلا أفق يرتع فيه السراب ، ضيعت
نفسي وقست علي المدينة وبعثرت الرياح أشيائي الجميلة ولم أجن من سنين
عمرى سوى الندم وخوف من الآتي ... الدنيا ترمقني بعينين ناريتين ومخالبها
موجهة نحوي تريد أن تنغرز في لحمي ، وكيف أخاص من شراستها لينفتح
طريق الرزق وافك أمراتي وبنتي من أغلال الحرمان ...

آه لو أجمع ثمن السفر إلى الخارج ...

لكم أخشى على بنتي من مصير كمصيري ، دراسة فاشلة وحياة حاضرها
البطالة وخواء الجيب وغدما الخوف من المجهول .

أين أنا الآن وأين رفاق الدراسة ؟

لقد أحبوا المدرسة فرفعتهم إلى مراتب العز وفتحت أمامهم أبواب الحياة
وبقيت أنا ونقر مثلي ، نسير على غير هدى في طريق لا تؤدي إلى مكان .

سامحك الله يا أمي ، أنت التي مهدت لي سبيل الضياع بسكوتك عن
عبيتي بالدروس واستخفاي بالمدرسة ، كنت تكرعين أزعاجي بما لا أطيق
وتأبين أكرامى على القيام بالفروض المدرسية . ولم يتبادر إلى ذهنك أنك
تهديمين مصير ابنك الاوحد الذي انتزعته من مخالب الامراض الكثيرة التي
أملت به زمن طفولته الاولى . وكنت أنا أغالي في الاستخفاف بالدروس وأبي

نَظَرَ بِالْمَعِينِ وَلَا يَعْرِفُ سَاكِنَتَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ أَمْرِي لَكَ . وماذا كانت النتيجة ؟
 الإخفاق المتكرر . التي امتنعان الابتدائية النهائي والطرد من مقاعد المدرسة
 تحتفظني الشارع . ثم بعد ذلك كان الزواج . أنت التي تدبرت مصاديف
 الإخفاق يا أمي . وأنت التي تنفقين عليّ إلى الآن من القليل الذي يحصل عليه
 أبي . وأنت التي خصصت لي بعد الزواج غرفتين بجانبك في بيتنا القديم
 ومع ذلك فانا لم أمانس لأن نفسي المسكونة بالهجرة .

أهـ لو أجمع ثمن السفر إلى بلاد بعيدة ...

لن أعود سريعا مثلما فعلت . في المرتين السابقتين ، كانتا تجربتين
 فاشلتين لم أجن منهما غير التعب والندم على الاموال التي جمعتها أمي
 بالاقتراض وبالعيش الضيق وتبددت بدون طائل .

إنني الآن أنوي الهجرة إلى بلد بعيد جدا مختلف تماما عن البلدين
 الأولين ، تنقصه اليد العاملة ويتقاضى العامل فيه أجرا مرتفعا .

* * *

الافكار تحط في رأسك ثقيلة سوداء ، والكتابة في صدرك والشارع في
 الخارج يحتفل بالليل وبالاقطار .

تنهض ثقيلًا وتغادر البيت ، تسالك زوجتك وقد شارفت الباب الخارجي :

— ماذا سأحضر للسحور ؟

ترد عليها بانكسار :

— أي شيء .

في نفسك شهوات كثيرة أحييتها المأكولات المعروضة هنا وهناك والروائح
 الكثيرة التي تصل إلى أنفك . وتحت وطأة الحرمان أصبحت تحب كل شيء
 ويجري لعبك لأشياء ما كنت ترغب فيها لولا فراغ الجيب ، تشد نظرتك
 « الزلاوية » و « المخارق » و « المقروض » عند الفطائري وقد صغفها بفن
 كبير فسحرك لونها وتمنيت منها رطلا أو رطلين لك ولأمراتك وبنيتيك
 وأمك . تمر بالحلواني فتحلو في عينيك المربطات المتعددة الأشكال والألوان
 وتتمنى قضم قطعة أو قطعتين من « الغربية » أو « البتي فور » بكأس من
 عصير الليمون الذي يتدفق في عذبة زجاجية كشلالات أنهار بعيدة شاهدها
 في التلفاز .

وتدنو من المقهى الذى اغتمت به الجالوس فيه فتختصر عليك يدانها في القهقهة عطرة
تدغدغ المشاعر وتذكرى قوا غفيرة. الاحساس بالجلوس هذه او تلك كسر في رغبة
الجيب ، فتحس أنك تتصلصل أمام الاشياء وأنت كالم الناس لمجتمعا جالسا
وأنت فراغ الجيب الوحيد . تشاهد في انفي ادم من يلهو بأكفاله طائفة من املام المقهى
يدخنون ويشربون القهوة واثنان منهم يتداولان على عيشة شبيهة فتتوهم نفسك
أن تشاركهم مجلسهم وتستمتع بتسليم الليل للفرح والفرح للفرح وتفرح بفاعات
الافطار بين الاصحاب ، لكن فراغ الجيب يمنعك من ذلك وهيتك لا تقبل بان
تشرب ولا تدفع . تقاوم رغبتك وتكبت شهواتك وتحيد عن المقهى فتكسر
الحاطر وتسرح فى الشوارع التى تفض بالعباد ، والمسننة الاسود يطرق
رأسك ، ونسمات الليل الباردة الطرية بلا جدوى ووجهك زومضات تقيسك
وتريدك إحساسا بأنك لا شيء فى هذه المدينة التى سلبت كل شيء اجليل.

تضجر من السير بمفردك فتعود الى البيت ولم ينض على آخر وأجك منه
نصف ساعة ، وأمام الباب تتوقف سيارة ، وباتيك صوت الشرطى أمرا :

- هات بطاقة التعريف .

تناوله إياها مرتبكا فيضيف بعد أن اطلع عليها :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أنت فلان . اصعد .

- لماذا اصعد . أنا أمام بيتي . هل أنا مطلوب فى شيء ؟

- اصعد وستعرف فى المركز .

- لن اصعد حتى أعرف لماذا .

- أنت متهم بتوزيع منشائر تحت على الفوضى وكتابة الشعارات المناوئة
للمنظام على الجدران .

- لم أفعل .

- ستقول هذا الكلام عند التحقيق .

منور النصري

النصرين

ماي 1987

قد أشعت الشمس بعد كسوفها

كانت قرية في الجنوب قابعة بين الكثبان الرملية وبساتين النخيل مغمورة لا يكاد يسمع بها انسان ، وكان أهلها يعيشون في جو مقيم بالهدوء لا يعكر صفوهم معكر وكانت هذه القرية منعزلة لا يربطها طريق بالمدن الكبرى الامر الذي جعل سكانها بعيدين عن المجتمع المتحضر وبذلك فهم للبدواة اقرب منهم الى الحضارة حيث كانوا ينتجعون في فصلي الربيع والصيف الى المربع الصحراوية الحصبة ، اما في فصلي الحريف والشتاء فانهم يعودون الى تلكم القرية للاشتغال بالاعمال الفلاحية . كما كان من طبعهم انهم يأنفون الاتصال بالسلطة الحاكمة بل كانوا اذا حدث بينهم سوء تفاهم جنحوا الى تحكم أهل الرأي منهم للفصل بينهم .

في هذا المجتمع الهادي الوديع كان منصور رجلا في العقد الخامس من عمره قد وخط الشيب عارضيه يعيش بين أبناء القرية غيشة متوسطة دون الثراء وفوق الاملاق . وكان متصفا بسلامة الطوية وطيبة القلب لكنه كان يبدو عليه انكسار الحاطر لانه لم يرزقه الله ولدا . وكان يشتد به الاسف عندما يشاهد أبناء القرية حلقة حول مؤديهم الذي كان يقوم بتعليمهم القرآن الكريم والمبادئ الاولى للعلوم الدينية لا يتمالك أن يتنهال الى الله بقوله : (رب هب لي من لدنك وليا) فاستجاب الله دعاءه ورزقه ولدا ذكرا اسماه « عامر » وما إن وقع هذا الحدث السعيد حتى امتلأ البيت سرورا وجورا وعم الفرح كامل الاسرة . وحالما بلغ الطفل السادسة من عمره أدخل الى الكتاب فكان مضرب مثل في الفصاحة والذكاء والاقبال على القراءة بكل نشاط وجدية بيد أنه لم يمهله القدر لمواصلة ذلك نظرا لوفاة والده ولزواج أمه بعد تلك الوفاة وبذلك بقي مشردا لا سند له .

وأول صدمة تلقاها يوم فاجأته عمته وهو بالكتاب بقولها :

— عامر هيا لترعى الحرفان قد طلع النهار وأنت ما زلت هنا .

- لا يا عمتي : ان والدى اوصانى بالا انقلع من هذا البيت يا

- وصاية الميت تبقى تحت رأسه . إن القراءة لا تأتى لنا بالرزق . تعالى يا ابن أخي- إن الكتاب لا يوفى لك العيش الكريم ، ولرفق بنفسك واعمل عملا تكسب منه رزقا شريفا .

من ذلك اليوم وعامر تتقافذه اللفة على الدرس وموجات اليأس والقنوط وعمته لم ترحمه فيضيق به الحال ويتذكر أباه فيصعد زفرة الحسرة والأسى ويتوجه الى قبر أبيه فيقف بجانبه صامتا لا يكاد يستطيع الاضواء بما يتنازع مشاعره .

فلن يبت احزانه للقبر ام لصاحب القبر .

آه لو كنت امامى لافضيت اليك بمكنون صدرى وخاطبتك:أنا ابنك عامر . ما حرمت منك وما كنت على هذه الحال .

آه لو كنت امامى لافضيت اليك بمكنون صدرى وخاطبتك أنا ابنك عامر .

آه يا ابنتي لو كنت حيا لارتويت على صدرى وعانتك .

وتنهمر الدموع من عيني عامر ويوارى وجهه بين كفيه ويمرغ جبينه وصدره على قبر أبيه ثم يمضي يائسا ملتفتا الى القبر كأنما يرجو من صاحب القبر غوثا وسندا .

مضى عامر على هذه الحال أياما . ثم بار يتوارى عن أهل القرية متسللا في الصباح الباكر ليلتقط الثمر المتساقط من النخيل ويعود في المساء يناجي أباه وعند الليل ينام على ربوة حذو المقبرة الى أن خطر بباله مفادرة البلدة قصد استئناف تعليمه . واختار الالتحاق بجهة الساحل حيث الزوايا التي تاوي طلبة القرآن والتعلم موجود هناك ولبعدها عن مسقط رأسه حتى لا يلتحق به اقاربه فيرجعوه للرعي . ومن حينه نفذ هذا الاختيار رغم أنه يجيل هذه الجهة التي يسمع بها ولا يراها فخرج اليها وهو لم يتجاوز سن عمره الرابعة عشرة . وكان في طريقه نحوها يسعى على القدمين الحافيتين مرتديا

قميصا وثمنا. وبزنا. مقطعا. يقطع النجاد والوهاد بدون ماء ولا زاد. تارة يبيت للعواد وطورا يبحث عن يؤويه من سكان البادية الى أن وصل مدينة صفاقس بعد عناء وشقاء من وعاء السفر، فهاله منظرا طرقا معبدة وأضواء تتلألأ وعمارات شاهقة ومارة يتزاحمون كأنهم جمعوا ليوم عظيم اختلفت أشكالهم باختلاف أزيائهم ونحلهم فصار يحجب الشوارع ثائها متفحفا هذه الوجوه ومستغريا من هذه الأزياء التي لم ير مثلها في قريته الضيقة فهذا يرتدي بدلة إفرنجية وذلك يرتدي زيا غريبا. اتقا وقد كانت أمعاؤه تتمزق من شدة الجوع فيقف أمام المطاعم فيشم رائحة المأكول الشهية وشواء اللحم فيسبل لعابه. وكلما هم بالدخول حدثته نفسه من أين لك ثمن هذا وغاية ما يحويه جيبك عشرون فرنكا وعسى أن تكون الأكلة الواحدة أضعاف ما يحويه جيبك.

وأخيرا وقف أمام مطعم شعبي متواضع فدخل اليه رجلان من البدو فتبعهما وجلس على الكرسي قريهما حتى جاء عامل المطعم فخطب الرجلين :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- ما تطلبان ؟

- هات شمنكة .

- والتفت الى الصبي :

- وأنت ؟

- هات شمنكة .

وبعدما أكل خاطب العامل :

- بكم يا سيدي ؟

- جوز فرنك .

- نعمة من الله اكلة بجوز فرنك .

خرج من المطعم وقد مالت الشمس الى الغروب وجن الليل وبدأ يحجب انطراقات ذهابا وايابا ، وقد ساد السكون المدينة وخلت الشوارع من المارة ناتجة الى جنان من أجنحتها وقبع تحت شجرة زيتون وجد تحتها كريما من الشمس فافترشه حتى الصباح فنفض عائدا الى المدينة وقصد المطعم الذي

تناول فيه وجبته البارحة ثم اتجه نحو الطريق للفضولية فأجذله الفجر كل مأخذ وسرت قشعريرة في بدنه فارتجف إذ خيل اليه أن أشباح الزيتون انقلبت أشباحا سوداء تتحرك تبغى التهامه .

وجد في السير بقية يومه حتى أظلم الليل فوقف في مكان حذو الطريق .

ثم جلس القرفصاء وجعل رأسه بين ركبتيه وضم يديه الى صدره ولفحت وجهه الرياح الباردة فارتجف وبدأ له الظلام المحيط به كأنه يريد أن يبتلعه ولا يرى النور قط ف قضى ليلة ليلاء فبدأ الخوف على قسماته ونمت خلجات أهدا به بمزيد من القلق والاضطراب على الرجوع الى بلده وفي الصباح قفل راجعا الى المدينة فوصلها بعد أن أنهك جسمه الضعيف السير على الاقدام والسهر والخوف .

وقصد توا محطة سيارات الاجرة حيث بقيت بجيبه عشرة فرنكات وهي مقدار معلوم ركوبه الى قابس وأثناء جلوسه بالمحطة في انتظار الركوب وجد حذوه رجلا كهلا مرتديا لباسا تقليديا أيقظ يدل على ثرائه وقد كان ينتظر هو الآخر الركوب هناك . لفت نظر الرجل طفل تملو وجهه الكآبة والحزن فأحس بمطف وجاذبية نحوه وخيل اليه كأنه يعرفه من قبل فكلمه بصوت يفيض شفقة وحنانا :

- من أين أنت يا ولدي ؟

- أنا من غرب الظهرة .

- يا للصدفه . أنا من الجهة نفسها أيضا .

- من أى قرية من قراها أنت ؟

- من قرية المستورين .

- آه ان تلك القرية تربطنى بها صلة قرابة ومصاهرة .

ثم ساد الصمت الذى كان أبلغ من البيان وأفصح من اللسان فقد تقاعمت الروحان وتوشجت الالفة بين القلبين وشاء الله في تلك اللحظة أن ينقذ

ذلك اليتيم البائس من ظلمات التعاسة وتشرق الشمس بعد كسوفها فقطم
الرجل الصمت فقال :

- كم عمرك يا ولدي ؟
- أربع عشرة سنة .
- ما الذي جاء بك إلينا ؟
- قاصدا البناحل للقرلة
- هل لك أبوان ؟
- ليس لي أبوان فالأب توفي والام تزوجت .
- ما اسمك ؟
- اسمي عامر .

خفق قلب الرجل وأصابه الدهاش كبير ونظر إليه بطرف مخضل
بالمسحوق وقال :
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- عامر : أنا خالك سامحني فقد تغافلت عنك مدة طويلة من زمن وفاة
أبيك رحمه الله واني كنت اعتقد أنك مكفول عند أقاربك . والآن فانك
ستكون مرافقا لي مكفولا عندي قائما بواجبك التعليمي الى النهاية .

ثم تحول اليه في الحال فاشترى له كساء لائقا وبعد ذلك اصطحبه معه
الى بلده وأنزله منزلة الابن الوحيد فقد رباه وأدخله الى التعليم الزيتوني
حتى بلغ درجة مرموقة بين اقرانه علما وذكاء وحياة كلها سعادة وهناء .
وهكذا شعت شمسها بعد كسوفها وطلع حظه بعد نحوسه .

محمد الهادي الفطناسي

مدارات

- ما الذى اقترف الطفل ؟
 ماذا تناقل عنه الرعاية للبعيدون ؟
 فالليل داهمه قبل ميقاته
 ومضت قبل اعياده عربات الفصول
 - محمد الغزي -

(الحقيقة جاهزة . الاوراق أيضا . سأرحل اليوم عن المدينة . أخيرا جاء
 اليوم الذى اتخلص فيه من رائحة العلف وفضلات البقر والحمير ...)

هكذا تمتم نذير فى نفسه ذات صباح شتائى قارس بينما كان يلم شتاته
 استعدادا للسفر . لكنه كان يعرف أنه كان هناك أنه عمثا يفعل ذلك .

كان على سفر دائم . واصدقاؤه كانوا يلقبونه أحيانا بالرحالة ، وأحيانا
 أخرى بماجلان أو بابن بطوطة ، لكن رحلاته كانت الى الداخل ، كان يرحل
 الى نفسه وهو اليوم سيترك البلاد لاهلها ... الكل يعرف أن لا بيت له فى
 المدينة ، فهو المتسكع بها مذ كان طالبا فى الجامعة .. وهم يعرفون أيضا أن
 كتبه وأشياءه الأخرى موزعة هنا وهناك ، وهو لا يستقر على حال ، فى
 حالات صحوه ، كان يبدو هادئا وخجولا جدا ، لكن فى حالات سكره يصعب
 على أى أحد إسكاته أو إقناعه بشئ ما . هكذا كانوا يقولون عنه ، لكن شيئا
 من الدعشة ومن الحزن كانا يصاحبانه دائما ، والغريب انهم يعرفون عنه
 هذا أيضا كفيته بأنه لن يستطيع التخلص من بعض ما به من شجن . كان
 يقول دائما : لولا أصدقائي لكنت قتلت نفسي من زمان ، وهو يعجب كيف
 تكون امرأة ما فى هذا العالم قادرة على أن تحبه ، لذلك لم يكن يفرح لاي
 كلمة حب توجه اليه من امرأة ، كان يعتبرهن مفصلات ، اذ كيف يحببته وهو
 المترحل دوما ، والمشتت أبدا ؟

بعض ممن عرفهن كن يقلن له : (إنك جميل) لكن عيبه انه كان فقيرا ، وحتى ان هو حصل على مال فانه سرعان ما يبدده .

ولهجته الجنوبية كانت محببة لدى المدن ، ظل يتذكر أحيانا أن إحداهن ربخته مرقاً أن يعيد على مسامعها نطقه لبعض الكلمات التي لها رنة خاصة في أذنيها . هي بنت المدينة - ، لكنه اكتشف بعد ذلك أنها قدمت الى العاصمة منذ عامين فقط للدراسة ، وأنها تركت الجامعة وتوظفت في أحد البنوك أو في إحدى مصالح الثقافة المنتشرة هنا وهناك .

أخذ مرة ورقة وخط عليها هذه الكلمات :

- (مراهقة ، تافهة وحقيرة) .

ثم نسيها الى الابد ، أو انه توهم ذلك ، فهو الآن ، في هذه اللحظة ، وهو ينوي الرحيل ، يتذكرها ، وهو يقول : إن كتابة مثل هذه الوريقات تخلصه من علاقات كثيرة ، ومن أشخاص كثيرين لا يجهم ، وهو بذلك ينزعهم عن نفسه ليضعهم على ورقة يمزقها أو يحرقها بعد حين ، كان يقول أيضا : إن الاحتقار له قيمة تتجاوز الكرم والحقد وربما الحب أيضا ، أحداث وخواطر كثيرة مرت بذهنه وهو ساه .. ثم تذكر أنه سينظر في الكتب التي سيحملها معه ليضعها في الحقيبة . اتجه الى مكتبته فاكشف لأول مرة أنها غير منظمة . تسأل : لماذا فكر ساعتها في هذا الامر وهو الذي لم يعتن يوما ما بترتيبها ولا بتنظيمها ؟

أخذ الكتاب الاول ، تهجى عنوانه ، تصفحه باشمئزاز ، ثم وجد نفسه يمزق الورقة تلو الاخرى ، ثم راح يمزق الكتاب الثاني ، والثالث والرابع ... ثم أخطأ في العد فقرر ألا يحسب ، تذكر انه في المدرسة كان يخطئ دائما في الحساب ولم يكن يحب الرياضيات وكل ما له علاقة بالاعداد .

مضت ساعة من الزمن ، وهو يمزق الكتاب بعد الآخر ، وأخيرا لم يبق بين يديه الا كتابان اثنان يعزان عليه كثيرا . لم يستطع أن يمزق منهما سوى ورقتين كانتا تحملان اهداء من امرأة كانت تحبه ، وقد فكر ذات يوم أن يتزوجها إلا أنها كانت تذكره دائما بالاعداد وبلغات حسابية لا يفهمها ، فتركها لتتزوج من موظف كبير قيل : إنه واسع الثراء .

وضع نذير الكتابين في الحقيقة ، ثم تمتم :

(الحقيقة جاهزة ، الاوراق أيضا ، سأرحل اليوم عن البلاد ، أخيرا جاء اليوم الذى اتخلص فيه من رائحة العلف وفضلات البقر والحمير ... سأتخلص أيضا من ضجيج المقاهى وثرثرة المتطفلين والجهلة ، مدعي الزعامة والنبوة فى زمن لم يعد للانباء فيه مكان ... لن أعود إلا بعد أن أعثر على نقطة أرخميدس ...) .

فى المساء ، عاد صديق نذير الى البيت الذى كانا يتقاسمانه ، انتظر نذير لكنه لم يأت ، دخل غرفته فوجد رسالة بخط نذير ، قرأها متلهفا :

أحمد يا صديقي .

ذاك الفتى الذى سميت فى إحدى قصائدك بأرخميدس الصحراء، سيرحل عن المدينة ، بل عن البلاد كلها . ربما أعود يوما وقد تسلحت بنقطة أرخميدس ، هل تذكر يا أحمد ذاك البيت لأبي الطيب :

على قلق ، كأن الرياح تحتي

أوجهها يميناً ، أو شمالاً ؟

ذاك أنا الآن ، بل أجدني كنت على قلق دائم .

إلى لقاء ممكن

نذير

بعد يومين ، شاع الخبر فى المدينة بأن نذير ترك البلاد ورحل ، ربما للتلج وربما لحر الصحارى ، لم يستطع أحد من أصدقائه أن يصدق ذلك ، لكن الحديث فى المقهى الذى تعود الجلوس فيه ، ظل يدور حوله طوال أيام كثيرة ...

حديث أول :

أحد أصدقائه قال : قبل سنة تقريبا من هذا اليوم ، جاءنى نذير الى المقهى وقال : إنه قرر أن يزور أمه بعد غيابها عنها سنوات ثلاث ، قال

ايضا : إنه سيقتل الناس هناك في أقصى الجنوب حيث سيجد نقطة يرتكز عليها .

مضت شهود كثيرة ونحن نسمع عنه أخبارا متنوعة ، وذات جمعة - بينما كنا في السيل وأصيقائي في المقهى - رأينا شخصا يدخل ثم ينظر إلينا في صمت ، ربما كان ذلك حقا أو حزنا ، كان يحمل في يده كتبا كثيرة وحقيبة أيضا ، كان يبدو أنها مثقلة بالكتب ، ظللنا نتساءل : ترى هل هو نذير الذي نعرفه ؟ أم أنه شخص آخر ؟ ربما كان هو وقد طالت لحيته وتساقط شعر رأسه وتحل بدنه وغارت عيناه . لكن بريقهما ظل مشعا ، عندها قام أحدهما ليرحب به ويدعوه إلى الجلوس معنا ، لكن نذير كان قد اتجه إلى النادل وطلب خمرا ، أما النادل فقد ذكره بأن اليوم جمعة ولا خمر في هذا اليوم المقدس ، ثم سأله : أن كان يريد أن يشرب شيئا آخر ، لكن نذير صاح في وجهه :

(الماء للحمير) .

ولما رأى كل الناس ينظرون إليه في عجب شديد من أمره ، بصق في وجوههم وأعاد على مسامعهم (الماء للحمير ... لا غالب إلا الحمار) .

منذ ذلك اليوم ، أصبح نذير يحمل في حقيبته خمرا ، لكنه لم يعد يجلس معنا في المقهى وتخلي عن طقوس كثيرة كنا نعهدها فيه . قيل لي : إنه نسي أمر النساء والأطفال ولم يعد يحدث الناس عن نسائه ، وهو الذي لم يتزوج أبدا ، ولا عن عدد أطفاله المنتشرين في العالم كله . منه ، منه ... كأبناء الفجر والحكايات القديمة ، هكذا كان يقول ، كان يبدو أنه يبحث عن شيء ما . أنا لم استطع أن أفهمه ، لكن منذ لقبه الناس بارخميدس - نظرا لكثرة حديثه عنه - صرت أعتقد مثلهم أنه جن ، لا تفهموا من كلامي هذا أنني حاقدة عليه أو أنني شامت به ، أنا لا أكرهه ، لكنه كان كثيرا ما يستفزني ، ربما كان يعتقد أنه الوحيد القادر على فهم الأشياء ، لكنني أؤكد لكم أنه كان يجهل - أو ربما يتجاهل - أشياء كثيرة ، كان يبدو تأثها مثل طفل أضاع أمه ، كنت دائما أشعر أن في صمته عنفا كبيرا ، سمته ونظراته تشعرانني بأنه يكرهني ويتهرب مني رغم توددي إليه وتقربى منه ، لكنه في مقابل محاولتي هذه كان يقول لي :

(يكفيك مسكنة وتذلا ، ارتفع قليل- يله- أخيه- الو الصمت)

كنت أشعر بالحزى والتفاحة كلما جالسته ، هل يكون كل الناس تافهين وجهلة ، وهو الوحيد العاقل الحكيم .. ثم إنني لا أكرهه ، أقنع على ذلك ، ما هو الذى كان يستفزنى دائما وأنا كنت أجترمه ، لكننى اعتقد اليوم دون شك فى حكاية جنونه .

حديث اليوم الموالي :

قال أحد من درسوا معه فى الجامعة :

أذكر أن نذيرا كان يحدثنى دائما عن أمه ، كان يحبها كثيرا ، وكان يحب أباه أيضا رغم ما يظهر عليه من قسوة وحقد ... أعلمنى يوم تخرجنا من الجامعة بأنه لم ير أباه منذ أربع سنوات أو أكثر ، كان خائفا عليه لأنه طلق أمه وتزوج امرأة أخرى ، وذكر أنه يومها بعث رسالة الى أبيه بكى لها كل أهل قريته ، أمه فقط لم تبك . وقالت : إنها رقت ابنها كما يجب . كانت تعرف انه ذاهب الى تونس ، ليدرس ويهيئها نجاحه ، كانت تلاحظ انشغاله بالكتب منذ صغره ، لذلك وقفت فى وجهه عندما أراد منه ترك المدرسة ليرعى الغنم فى الجبال والمراعى البعيدة عن رائحة الطلاسة وغبار الطباشير والخبر واللوحه والريشة ومعلمة اللغة الفرنسية والجرس وأقلام الزينة والالوان ... منذ ذلك اليوم البعيد أصبح يكره الغنم والبقر والحمير لأنها كادت تحرمة معرفة أشياء كثيرة ، كان يقول دائما : إنه لولا وقوف أمه الى جانبه ، لحرمه والده من معرفة أسرار الامور وخفاياها ولظل جاهلا بأرخميدس وبنقطة الزئبقية مثلما كان يسميها .

كنت أعرف أن الرسالة ستكون قاسية جدا على رجل كآبى نذير . لكن صديقتنا لو لم يكتبها لقتل نفسه ، بعد سنوات كثيرة من الصمت ... أذكر أن نذير كتب لأبيه أشياء تقرب مما سأكفيه لكم ، اسمعونى جيدا ، فى بداية رسالته قال له :

... - سيدى الأب ، أعلمك أننى قد نجحت وتخرجت من الجامعة ، لكننى أعرف أن ذلك لن يفرحك كثيرا .

ثم واصل رسالتى بما يشبه هذا الكلام :

- سيدى الأب ، لقد عينت نفسك أن تكون أباً لى ، ولم اختر أنا ذلك ، لكن اتراك اخترت أنت أيضاً أن أكون - أنا - ابناً لك ؟

- سيدى الأب ، مضت سنوات أربع لم أرك فيها ، اشتقت إليك كثيراً ، لكن حقدى عليك واحتقارى لك يزدادان يوماً بعد يوم .

- سيدى الأب ، لو كنت تعرف أن أمى التى طلقته كانت تحترق الأرض أيام المطر وتسهر على سقيها أيام القحط بينما كنت أنت تجمع المال حتى تراكمت ثروتك لما أقدمت على طلاقها . لكنى أعلنها لأهل القرية جميعاً بأن نذير ابن أمه وليس ابن أبيه .

- سيدى الأب : أحد أصدقائى الذين أحبهم كثيراً خلصنى مرة من أن أقتل نفسى ، صورته الضاحكة على غلاف أحد كتبه منعنى من أن أغرس السكين فى جهة ما من جسدى ، وصديق آخر نزع عني فكرة قتلك ، كان يريد من وراء ذلك أن يبعدنى عن مدارات الشعور بالذنب ، وربما الندم ... لكنى لو أقنعت به بأننى لن أندم ، لتركنى أفلد ذلك ..

- سيدى الأب : فلتعلم أن قبائل البدو فى لم ترحل ، لكنك لتعلم أيضاً أنى أرفض أن أرث عنك أى شىء - ربما - تتركه لى ، لقد ظلمت أمى - مطلقتك - تحمل الفاس فى يديها دائماً . والأرض لم تكن لتبخل عليها قدر بخلك أنت

من يومها ، شاع فى القرية أن نذير بعث رسالة قاتلة الى أبيه هدده فيها بالقتل . كان هناك من حرصه على أن يشكوه للحرس . لكن السيد الأب مثلما كان يدعو نذير ، خاف من فضائح كثيرة ربما يصل لها التحقيق ، لذلك حرق الرسالة بعد أن قرأها عليه أصغر أبنائه ، لكن شبان القرية كانوا قد حفظوها جميعاً عن ظهر قلب ، وتناقلوها فى المدارس والمراعى والجبال ، ويذكر أنه كلما تخاصم أحد منهم مع أبيه ، سرد عليه رسالة نذير الى السيد الأب فيتراجع الأب عما عزم عليه من عقاب .

بعد أسبوعين من ذلك ، وصله نبأ وفاة أبيه ، وقيل لي : إن نذير كان الوحيد الذى بكاه من بين أهل قرينته جميعا ، لكن نذير ظل كما عهدته يكره المرعى والبقر والحمير . وقد اعترف لي يوما - على مضض - أنه يكره المراحيض أيضا . كان يقول لي أنه كلما دخل أحدها ، بدا له أنه يشم رائحة العلف وفضلات البقر والحمير وروائح أخرى تختلط في أنفه برائحة الحبر والطلاسة المبللة ، من يومها - صرت أفهم لماذا يحمل نذير العظورات في حقيبته حيثما ذهب .

لكنى لست متأكدا من حكاية جنونه التى يتناقلها الناس عنه

حديث ثالث :

يومها ، اجتمع الكثير ممن يعرفون نذير ، بدأ الحديث أحد زملائه في المعهد الذى كان يدرس فيه ، قال :

في آخر أيام رمضان الذى فات ، رأيت نذيرا صدفه ، كان نشطيا ، ضاحكا على غير عادته في مثل تلك الأيام الحارة والثقيلة . سألته عن سر انشراحه فقال لي : لقد عزممت أمري على ترك هذه المدينة المشوهة ، ثم أنا لا يمكن لي أن أتزوج ويكون لي بيت واطفال . ولن أستطيع أن أدرس تلاميذى الذين أحبهم كثيرا بعد اليوم ، سألته متعجبا

.. هل تهاجر ؟ آه ، تذكرت إن هناك بعثات ... ولم أستطع أن أوصل حديثي إذ إن صوته علا مقهقهقا ، ضحك كثيرا يومها من سؤال حتى خجلت من نفسي ، أذكر أنه قال لي : لقد قررت أن أتزهد على طريقة المتصوفة القدامى ، ساكتفى هناك بالظلام أو ربما بالنور ، لا يهم ، لا أعرف ، لكنى سياترك المدينة الى غير رجعة ، ولن أكلم بعدها انسيا .. أنا - كما تعرفنى - أحتقر صفار النفوس ، هؤلاء الذين يسعون بي الى خراب لا معنى له . إنهم لا يعرفون غير المسكنة والمزاج الثقيل ... وأظنني صرت كارها بعد اليوم . لكن الذى حيرنى أن نذير عاد الى المدينة ، الى المعهد بالذات . عندما رأيته كان وجهه شاحبا ، كأنه لم ينم ولم يأكل منذ زمن ، كانت لحيته قد طالت وغارت عيناه ، وتأكدت يومها أن صاحبنا لن يستمر على حاله تلك طويلا ، لكن ما أزعجني بعد أسابيع قليلة من لقائنا هو خبر طرده من المعهد ، قيل

لي : إن بعض تلاميذه اشتكوا إلى المدير وقالوا له : إنه يأتينا إلى الفصل مخمورا ، وأنه يهذي كثيرا باسماء فلاسفة وشعراء يحبهم ، وباسماء أخرى لا نعرفها مثل (المنصف) ، (ناجية) ، ، ، . والحقيقة أنه كان يتعب كثيرا من أجل بتلاميذه ، خلال ساعات الدرس كان يرقق نفسه محاولا إفهامهم ما يقوله حتى يتصيب عرقا ، وهو يعطف عليهم كثيرا رغم أنه لا يظهر لهم ذلك ، أذكر أن تلميذة في فصله جاءت يوما باكبة حزينة ، كانت فقيرة ووالدها مات منذ أيام قليلة ، أشفق على حالها فأعطاهم مبلغا من المال . لكن التلاميذ أشاعوا في المدرسة بأن هدفه لم يكن ذاك وأبلغوا المدير بذلك ، قالوا له أيضا : إنه كثيرا ما يسب الآباء والحمير وأولياء الله الصالحين ... والمدير نفسه ، وأشياء أخرى لا فائدة من ذكرها .

ثم عرفت من إحدى صديقاته أنه لما ذهب إلى قريته وقد قرر أن يعتزل الناس ، صدم هناك بحادثة قتل أخيه « المنصف » كان ذلك عام الخبر ، كان نذير يحب أخاه كثيرا رغم أنه من زوجة أبيه ، فجأة رآه يقتل أمامه غدرا لأنه رفض أن يعيش جائعا ، مهانا ، سقط أمامه وقال أهل قريته يومها : إن الرصاصة كانت تصيب نذير لكنها قتلت أخاه « المنصف » . ويحكى أيضا أن نذير بقي مستيقظا ثلاثة أيام وثلاث ليال لم يأكل خلالها شيئا ولم يكلم أحدا . لكن كل من رآه بعد تلك الأيام الثلاثة قال لا بد أنه كان يبكي ليلا نهارا .

وما تعجبوا له جميعا ، أن ذلك البريق في عينيه ازداد اشراقا وتوهجا ولم تستطع الدموع أن تخدم ناره ، ذاك ما أعرفه من خبر نذير ، وربما يكون هذا الحادث سبب جنونه ، ربما ، أنا لا أقول : إنه مجنون ، لكنه ربما يكون كذلك ...

حديث آخر :

أحمد الشاعر كان أقرب الناس إلى نذير ، ويومها انتظر الجماعة أن يتحدث أحمد كثيرا عن صديقه ، لكن أحمد ، بعد صمت طويل ، رفع رأسه إلى من حوله وقال : قبل أسبوع واحد من غيابه أو رحيله المفاجيء ، أيقظته من نومه لأقرأ عليه شعرا كتبتة ساعتها ، أفاق ، استمع إلى القصيدة بكل يقظة ، ثم نظر إلي وقال :

(لقد دمرني الشعر ، وانتم يا اصدقاءني واحبتي تسمعون الى كلامي)

ثم عاد الى نومه ، لم ار في البيت بعده غير بقايا كتب ممزقة ورسائل
واشعار ، ذاك ما اذكره ، ثم استغرق احمد في نشيج طويل لم يوقفه عنه
إلا صوت النادل يطلب ثمن ما شربه احمد وصحبه .

احاديث متفرقة :

سرت هذه الاخبار في المدينة ، واتسعت للخرافة تارة ، وللفكاهة والهز
تارة أخرى ، لكنها اتسعت أيضا للحزن والانتظار المريع .

أحد العائدين من السفر قال : رأيت نذير في باريس ، يلقي دروسه
وأشعاره بعشق ووله كبيرين ، في المقاهي والحدايق العامة والمطاعم
الشعبية ،، ذكر أيضا أن حبيبته لا تزال تحمل الكتب والحمر والعطورات .

آخر قال : رأيته يحمل في يده طفلا يشبهه كثيرا ،، ربما كان سرعان
ما غاب عن نظري ولم أراه بعد ذلك اليوم ، بعد أيام قليلة قال : ربما كنت
أحلم ، ترى هل كان ذلك الرجل الذي رأيته هو نذير ؟ من يدري ؟ ربما .
الناس يعيشون كثيرا أحلام اليقظة هذه الأيام ...

وثالث قال : رأيته في قريته يحرق الأرض مع أمه شتاء ويحصد القمح
صيفا دون أن يقرب مراعي الغنم ومرايض الحمير ، وذكر أن نذير ظل يحمل
في جرابه حيشا ذهب خمرا وعطورات ، وقيل أيضا : إن أمه تخفي خبر
وجوده عندما حتى لا تخطفه منها نساء المدن . لكن أمه نفت الخبر .

حياة الوسلاتي

فيفري - مارس

1986

مسرد القصة التوثيقية - الأسبوع -

« الأسبوع » جريدة أسبوعية صدرت فيما بين 1945/12/24 و 1956/1/23 في 414 عددا ، مديرها وصاحب الامتياز : الأستاذ نور الدين بن محمود .

مقرها 64 نهج الباشا - تونس .
اعداد : محمد الهادي بن صالح

اسم الكاتب	عنوان القصة	تاريخ الصدور	الصفحة	العدد
علي الدوعاجي	مجرم رغم انقذه في فنيجان قهوة	1945 / 12 / 24 1945 / 12 / 31	5 7	1 2
توفيق بوغدير	فتحت غالية خطلة فاشلة موت العم و باخيز	1946 / 1 / 7 1946 / 1 / 14 1946 / 1 / 21	6 2 7	3 4 5
علي الدوعاجي	مشكلة حسابية	1946 / 1 / 28	3	6
توفيق بوغدير	لقاء لم يتم (قصة جزائرية)	1946 / 2 / 4	7	7
السميكي حكار (ختملة)	لغة الرسائل	1946 / 3 / 4	6	11
توفيق بوغدير	سهرت منه اللالي	1946 / 3 / 11	6	12
علي الدوعاجي	لقد كانت تريد ان تبقى	1946 / 3 / 24	7	14
عبد السلام السيفياني (المغرب)				

العدد	المصفحة	تاريخ الصدور	عنوان القصة	اسم الكاتب
17	4	1946 / 4 / 7	بطاش	عبد السلام السفهاني (المغرب)
22	7	1946 / 5 / 19	رسالة	محمد بن عبد الكريم الصقلي (فاس)
23	7	1946 / 5 / 26	سفر الغريبة	علي الموعايجي
31	7	1946 / 7 / 21	يوم القرآن (1)	عبد الله الملائي (المغرب)
32	7	1946 / 7 / 28	يوم القرآن (2)	عبد الله الملائي (المغرب)
33	7	1946 / 8 / 4	الدميسة	داروس المر اكثمي (فاس)
35	7	1946 / 8 / 18	الطيب الضائع	محمد نور الدين (الدار البيضاء)
54	6	1947 / 4 / 13	عين سامرة	عبد الفتاح علي بركات (مصر)
57	3	1947 / 5 / 4	الباب السابع	أحمد أبو أحمد (بوهي كيت)
68	€	1947 / 7 / 20	خطبة الدم (1)	عبد الطيب جودة السحار (مصر)
69	€	1947 / 7 / 27	خطبة الدم (2)	عبد الطيب جودة السحار (مصر)
70	6	1947 / 8 / 3	خطبة الدم (3)	عبد الطيب جودة السحار (مصر)
71	€	1947 / 8 / 10	خطبة الدم (4)	عبد الطيب جودة السحار (مصر)
72	6	1947 / 8 / 17	دابع (تمثيلية شعرية) - 1	الصفاق مازيغ ومحمد بورقمة
73	6	1947 / 8 / 24	دابع (تمثيلية شعرية) - 2	الصفاق مازيغ ومحمد بورقمة
74	6	1948 / 8 / 31	دابع (تمثيلية شعرية) - 3	الصفاق مازيغ ومحمد بورقمة
75	6	1947 / 9 / 7	طريق الى الجدد - 1	عبد العزيز عزت الجيايط (مصر)
76	6	1947 / 9 / 14	طريق الى الجدد - 2	عبد العزيز عزت الجيايط (مصر)
77	6	1947 / 9 / 21	القلبية المشؤومة - 1	أحمد رضا حوحو (الجزائر)

العدد	الصفحة	تاريخ الصدور	عنوان القصة	اسم الكاتب
78	6	1947 / 9 / 28	القلية المزمومة - 2	أحمد رضا جوجو (الجزائر)
79	6	1947 / 10 / 5	بين صلاتين - 1	د. سميد عبده (مصر)
80	6	1947 / 10 / 12	بين صلاتين - 2	د. سميد عبده (مصر)
82	7	1947 / 10 / 26	بين صلاتين - 3	د. سميد عبده (مصر)
83	6	1947 / 11 / 2	حواء الاجيرة (تمثيلية) - 1	الآنسة نجوى قنوار
84	2	1947 / 11 / 9	حواء الاجيرة (تمثيلية) - 2	الآنسة نجوى قنوار
85	6	1947 / 11 / 16	حواء الاجيرة (تمثيلية) - 3	الآنسة نجوى قنوار
86	6	1947 / 11 / 23	اتخاذ فلسطين - 1	صابر عبده ابراهيم (مصر)
87	6	1947 / 11 / 30	اتخاذ فلسطين - 2	صابر عبده ابراهيم (مصر)
88	6	1947 / 12 / 7	عناية الله (مسرحية) - 1	عبد العزيز عزت الحياط (مصر)
90	6	1947 / 12 / 21	عناية الله (مسرحية) - 2	عبد العزيز عزت الحياط (مصر)
91	5	1947 / 12 / 28	عناية الله (مسرحية) - 3	عبد العزيز عزت الحياط (مصر)
92	6	1948 / 1 / 4	ابنة قصر الجم (اسطورة تونس) - 1	زين العابدين السنوسي
93	6	1948 / 1 / 11	ابنة قصر الجم (اسطورة تونس) - 2	زين العابدين السنوسي
94	6	1948 / 1 / 18	ابنة قصر الجم (اسطورة تونس) - 3	زين العابدين السنوسي
95	6	1948 / 1 / 25	ابنة قصر الجم (اسطورة تونس) - 4	زين العابدين السنوسي
96	6	1948 / 2 / 1	ابنة قصر الجم (اسطورة تونس) - 5	زين العابدين السنوسي
97	6	1948 / 2 / 8	ابنة قصر الجم (اسطورة تونس) - 6	زين العابدين السنوسي
98	6	1948 / 2 / 15	ابنة قصر الجم (اسطورة تونس) - 7	زين العابدين السنوسي

العدد	الصفحة	تاريخ الصدور	عنوان القصة	اسم الكاتب
99	6	1948 / 2 / 29	ابنة قصر الجُم (اسطورة تو نسبية) 8	زين العابدين السنوسي
103	6	1948 / 3 / 21	ابنة قصر الجُم (اسطورة تو نسبية) 9	زين العابدين السنوسي
104	6	1948 / 3 / 28	ابنة قصر الجُم (اسطورة تو نسبية) 10	زين العابدين السنوسي
106	4	1948 / 4 / 11	ابنة قصر الجُم (اسطورة تو نسبية) 11	زين العابدين السنوسي
108	7	1948 / 4 / 25	ابنة قصر الجُم (اسطورة تو نسبية) 12	زين العابدين السنوسي
109	3	1948 / 5 / 2	ابنة قصر الجُم (اسطورة تو نسبية) 13	زين العابدين السنوسي
112	8	1948 / 5 / 23	عرس في الجنة (تشيلية) - 1	محمد علي أبو حسين (٩)
113	8	1948 / 5 / 30	عرس في الجنة (تشيلية) - 2	محمد علي أبو حسين (٩)
114	8	1948 / 6 / 6	عرس في الجنة (تشيلية) - 3	محمد علي أبو حسين (٩)
122	٤	1948 / 8 / 1	واخيرا أمكث ... أو يد الأقدار	محمد علي أبو حسين (٩)
125	7	1948 / 8 / 22	غزوة بدر (تشيلية) - 1	محمد محمود زيتون (مصر)
126	7	1948 / 8 / 29	غزوة بدر (تشيلية) - 2	محمد محمود زيتون (مصر)
127	7	1948 / 9 / 5	غزوة بدر (تشيلية) - 3	محمد محمود زيتون (مصر)
128	7	1948 / 9 / 12	غزوة بدر (تشيلية) - 4	محمد محمود زيتون (مصر)
129	7	1948 / 9 / 19	غزوة بدر (تشيلية) - 5	محمد محمود زيتون (مصر)
130	7	1948 / 9 / 26	1 سبتمبر 1948 (تشيلية) - 1	محي الدين شلبي (ميجور)
131	6	1948 / 10 / 3	1 سبتمبر 1948 (تشيلية) - 2	محي الدين شلبي (مصر)
132	6	1948 / 10 / 10	1 سبتمبر 1948 (تشيلية) - 3	محي الدين شلبي (مصر)
151	10	1949 / 3 / 27	قال صديقي ... سببه القتل	عياش مرف

العدد	الصفحة	تاريخ الصدور	عنوان القصة	اسم الكاتب	ملاحظات
152	10	1949 / 4 / 3	فتاة احلامي	احمد بوشا حوحو (الجزائر)	
153	8	1949 / 4 / 10	ابن اخطيئة	محمد جابر الهلايلي (س)	
154	10	1949 / 4 / 18	قال صديقي : المعلقة	عياش معروف	
155	10	1949 / 4 / 25	قال صديقي : السباح	عياش معروف	
156	10	1949 / 5 / 2	قال صديقي : صاحبه اللذكار	عياش معروف	
157	10	1949 / 5 / 9	قال صديقي : الانتخاب	عياش معروف	
158	10	1949 / 5 / 16	ابنساء الذهب	عياش معروف	
159	10	1949 / 5 / 23	الولي	عياش معروف	
160	9	1949 / 6 / 13	الغيرة	عياش معروف	
161	10	1949 / 6 / 19	قال صديقي : آدم وحواء	عياش معروف	
162	10	1949 / 6 / 27	المليح	محمد المرزوقي	
163	2	1949 / 7 / 4	المعقري	عياش معروف	
164	10	1949 / 7 / 18	في رمضان	عياش معروف	
165	10	1949 / 7 / 25	أروفا	عياش معروف	
166	10	1949 / 8 / 1	
191	10	1950 / 11 / 30	غرائب حواء	عياش معروف	
210	10	1950 / 6 / 12	قلت لشهرزاد ... ففسر بتني	زكي طليمات (مصر)	
247	6	1951 / 3 / 12	كذبة	رشيد ج	
248	3	1951 / 3 / 19	الارملة المخلومة	م	

اسم الكاتب	عنوان القصة	تاريخ الصدور	الصفحة	العدد
رشيد ج.	حديث مجنون	1951 / 3 / 26	5	249
عبد المجيد المريني	مأساة	1951 / 4 / 2	5	250
عبد المجيد المطوي	سقاط الثاني	1951 / 4 / 16	6	252
الصادق نفرة	حياة	1951 / 4 / 23	6	253
عبد المجيد المريني	مسير النيران	1951 / 4 / 30	6	254
الطاهر المستحسن	الفن الخالد تحت اقدام البرؤساء	1951 / 6 / 11	2	260
ج. ص. (شاب لا يتجاوز 14 سنة)	النار ولا الماء	1952 / 3 / 17	6	266
مصطفى كمال فليل	دموع عذري	1952 / 11 / 3	4	308
الحبيب بناسي (ابنزائر)	كأية صامية	1952 / 12 / 8	7	313
مصطفى كمال فليل	درس	1952 / 12 / 29	9	315
محمد فريد غازي	الرجل الذي يبحث عن الحب	1953 / 1 / 12	7	317
كرام محمد علي كرام	الشباب النافس	1953 / 1 / 26	5	319
محمد المصوري الحناشي	الساقطة...	1953 / 2 / 16	7	322
كرام محمد علي كرام	حشرة تأخذ بالنار ٩١	1953 / 2 / 23	5	323
الشاعرة الأديبة (م.م.م.)	اعتراف	1953 / 3 / 9	5	325
محمد فريد غازي	1 - الشقي	1953 / 3 / 9	7	323
محمد فريد غازي	2 - الشقي	1953 / 3 / 16	7	326
محمد فريد غازي	3 - الشقي	1953 / 3 / 22	7	327
مير ابو . ترجمه ملكة فوسى عثمان	من مذكرات خادمة	1953 / 4 / 6	7	329

اسم الكاتب	عنوان الفعلة	تاريخ الصدور	الصفحة	العدد
يوسف ترومر (مصر) أحمد الصغير (المغرب) محيط علي غريب (مصر) محمد علي غريب (مصر) كرام محمد علي كرام محمود تيودور (مصر) بدون أعضاء . مترجمة بدون أعضاء . مترجمة بدون أعضاء . مترجمة بدون أعضاء . مترجمة بدون أعضاء . مترجمة ترجمة : محمد فهد بن عثمان محمد منصور إخسنيون السلاوي إطسنيون السلاوي إطبيب بناسي (الجزائر) بدون أعضاء بدون أعضاء مترجمة عن الفرنسية م. فهد عثمان	الحياة تسير نداء الشرح غلاطة طبيب - 1 غلاطة طبيب - 2 نهاية مقال تاج من ورق سر المتحجرات الخمس - 1 سر المتحجرات الخمس - 2 سر المتحجرات الخمس - 3 بلد العميان - 1 بلد العميان - 2 القلب الجريح (القصة الثانية) ماساة بعد الرافعة ... - 1 بعد الرافعة ... - 2 الطب والشرف ... عين البوليس تحرسك (تمثيلية) عين البوليس تحرسك (تمثيلية) عين البوليس تحرسك (تمثيلية)	1953 / 7 / 27 1953 / 8 / 3 1953 / 8 / 10 1953 / 8 / 17 1953 / 8 / 21 1954 / 5 / 10 1954 / 6 / 14 1954 / 6 / 21 1954 / 6 / 28 1954 / 7 / 5 1954 / 7 / 12 1955 / 6 / 3 1955 / 7 / 13 1955 / 7 / 13 1955 / 7 / 13 1955 / 7 / 25 1955 / 8 / 15 1955 / 12 / 26 1956 / 1 / 2 1956 / 1 / 9	6 7 7 7 2 6 4 5 5 5 5 5 5 9 6 15 5 7 8	343 344 345 346 350 368 372 373 374 375 376 389 392 392 393 395 411 412 413

الفهرس التحليلي

فهرس المجلد التاسع عشر لمجلة « قصص » سنة 1987

- الكتاب -

				- أ -	
				اسم الكاتب	
23	75	جلول عزونة	ع ص	أبو بكر العيادي	
56	76	جلول عزونة	65 76	أحمد التهامي بوطبة	
			71 76	أحمد الهادي بوطبة	
			69 78	أحمد الهادي بوطبة	
			75 75	أحمد ممو	
			40 76	أحمد ممو	
			18 77	أحمد ممو	
			22 78	أحمد ممو	
			70 77	إحميدة الصولي	
			18 77	أنوري شديد	
				- ب -	
			75 75	بائع كراسو	
			46 76	بنت البحر	
			59 77	بنت المنجم	
				- ت -	
			13 75	التابعي الأخضر	
			5 76	التابعي الأخضر	
			5 77	التابعي الأخضر	
			15 78	التابعي الأخضر	
				- ج -	
			75 75	أحمد ممو	
			40 76	أحمد ممو	
			18 77	أحمد ممو	
			22 78	أحمد ممو	
			70 77	إحميدة الصولي	
			18 77	أنوري شديد	
				- د -	
			75 75	أحمد ممو	
			46 76	أحمد ممو	
			59 77	أحمد ممو	
				- هـ -	
			75 75	أحمد ممو	
			46 76	أحمد ممو	
			59 77	أحمد ممو	
				- ز -	
			75 75	أحمد ممو	
			46 76	أحمد ممو	
			59 77	أحمد ممو	

93	78	محمد الهادي بن صالح	-	- ذ -	
89	75	محمد الهادي الفطناسي	36	77	زهرة الجلاصي
79	78	محمد الهادي الفطناسي			
33	75	محمود بلعيد			- س -
44	77	محمود بلعيد	90	77	سميد المحروق
5	78	محمود بلعيد			
90	77	منور التنصري			- ش -
74	78	منور التنصري	28	78	شري ذروشي
			28	78	شريف شوكت
		- ن -			
83	75	نافلة ذهب			- ط -
14	77	نافلة ذهب	5	75	الطاهر فيقه
13	76	نتيلة التباينة			
95	75	نور الدين بلقاسم			- ع -
25	77	نور الدين بن بلقاسم	66	77	عبد العزيز فاخت
		- ه -	77	77	عبد العزيز نجم
			42	75	علي العبيدي
86	75	الهادي بوطبة			- م -
		- ي -			
			83	76	محمد الحموسي الحناشي
74	76	يوسف عبد العاطي	98	77	محمد العروسي المطوي
39	78	يوسف عبد العاطي	55	75	محمد قوبعة

- المواضيع -

90	77	حكاية الزنجي الأبيض			- أ -
59	77	حوار	ع	ص	العنوان
		- خ -			استراحة سبع في مدينة
64	75	خريف وأقحوان	71	76	الأموات
		- د -	93	76	أسطورة الزمن الملون
					إشكالية السعي والمشغل
46	76	الدائرة	53	77	في دهاليز الزمن الممتد
69	78	الغف بين أحضان النخيل	14	77	الأكواد يوم
			83	76	أنا إفريقي
			74	76	أنف العفة
83	75	الرجل الذي يشي القهقري	90	76	إنك والبحر واحد
70	77	الرواية العربية			- ب -
			32	76	بين البحر والقمة
					- ت -
39	78	سائلة الرهدانة			تقديم مجموعة فارس الظلام
77	77	السفر	55	75	تهاني
		- ش -	5	78	
					- ث -
98	77	شقرون			ثم صبية في الحى
28	78	الشیطان	59	76	
		- ص -			- ج -
		صورة المجتمع في رواية	82	77	الحد الفاصل
25/95	77/75	محاولة عيش	23	75	الحرية والانتاج القصصي
		- ض -	5	76	حفلة تكريم
			42	75	حكاية الحكاية
13	75	ضباب الضفة الأخرى	36	77	حكاية الزرقاء

المفهرس

العدد الرابع (أكتوبر - ديسمبر 1987) من المجلد التاسع عشر

تصدير	قصص	3
تهاني	محمود بلعيد	3
همس في الظلام	التابعي الأخضر	15
القناعات الشخصية لأيوب العابر	أحمد ممو	22
الشیطان لشري ذروشي	تعريب : شریف شوكت	28
سالمه الرمضانة	یوسف عبد العاطي	39
من أجل إضافة عربية فی القصة والرواية (I)	جلول عزونة	56
الدفء بین احضان التخیل	أحمد الهادي بوطبة	69
العنكبوت	منور النصري	74
قد أشعت الشمس	محمد الهادي الفطناسي	79
سدارات	حياة الوسلاتي	84
مسرد القصة التونسية	محمد الهادي بن صالح	93